قراءة في كتاب هوية التشيع

للشيخ أحمد الوائلي

عمـاد الكاظمي

منشورات معالم الفكر

الكتاب: قراءة في كتاب هوية التشيع للشيخ الوائلي

المؤلف: عماد الكاظمي

الطبعة: الأولى

الناشر: معالم الفكر/بيروت – حارة حريك مجاور مسجد الحسنين

العراق – الكاظمية المقدسة

السنة: ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٣٢٠) لسنة ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشرَف الصلاة على النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لا يخفى أنَّ الأُمَم ترتقي بأسباب متعددة متفاوتة من بعضها لبعض، فمنها مَنْ تبحث عن رقيِّها بأسبابها المادية والتكنلوجية بغض النظر عن سبب آخر، ومنها مَنْ تبحث عن رُقِيِّها وسط العلم والمبادىء والحضارة وإنْ تأخَّرَتْ عن غيرها في المجالات العلمية المادية، لأنها تؤمن أنَّ المادة لايمكنها أنْ تبني حضارة عظيمة تبقى لآلاف السنين.

والأمة الإسلامية أمة تبغي حضارتها وسط المبادىء السامية التي خَطَّها الإسلام العظيم لها، حيث المثل والأخلاق الفاضلة والمكارم والتقى، مع اهتمامها بالعلوم المختلفة، لذا رأينا أولئك الأفذاذ من العلماء التي أنجبتهم مدن البلاد الإسلامية المختلفة .. ومن تلك المدن التي لها ذلك التأريخ العريق بكُلِّ صوره هي مدينة "النجف" التي كانت وما زالت مهداً للعلم والحضارة، هذه المدينة التي لم تفتقر يوماً من العلم والعلماء على مدى قرون من الزمن دون غيرها من البلدان التي كانتْ يوماً مهداً للعلم ثم افتقرت بعد ذاك، لكنَّ هذه المدينة أصبحت مهداً للعلم والتقى والثقافة والأدب منذ أنْ حَلَّ فيها أمير البلاغة والبيان والتقى والصلاح علي

ابن أبي طالب (عليه السلام) ليؤسس في كوفتِها عاصمة الخلافة الإسلامية لتكون من يومها مهد الاشعاع الحضاري، فقصدها العلماء والمحـــدِّثون لينهلوا من معينها، حتى حان وقت تخصصها في الفقه والأصول منـــذ أنْ هبط ترابها شيخ الطائفةِ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) لتقـــصده العلماء من كُلِّ حدب وصوب ليستقوا من علومه الغزيرة، وهكذا توالت المرجعيات الدينية وأصبحت النجف لا يُعرف عنها إلا أنها البقعة الأولى في البلاد التي تُخَرِّجُ العلماء والفقهاء والأدباء والخطباء، فلا تُذكر النجف إلا وذكر العلم والعلماء قرين لذكرها.

وهي اليوم كأَمسها تزخر بالعلم والعلماء والمعاهد العلميـــة المختلفـــة، لتؤكِّدَ للعالم أصلها وحقيقتها رغم السنوات العجاف التي مرَّتْ عليها من حكم دموي معاد للعلم والحضارة، ولكنها لم ترضَ الاستسلام والخنوع، بل ترفعُ هامتها بفخر واعتزاز من خلال معاهدها ومراكزها العلمية، فكـــم من مؤتمر علمي يشاطر الآخر ليظهر جانباً من جوانب العلم والمعرفـــة، نحاول في هذه الصفحات أنْ نتحدث عن جهود عَلَمٍ من أعلام هذه المدينة المقدسة وخطيب من خطبائها، بل من أعمدة الخطابة في التأريخ المعاصر، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) الذي ملأَ الآفاق ذكره، فبارك الله بهم على هذه الخطوات المباركة التي نراها بين حين لآخر، وما لها من دور

فاعل في نشر العلم والمعرفة، وتعريف الأجيال بتراثهم العظيم وحضارتهم، فلله دَرُّهُمْ وعلى الله أَجْرُهُمْ.

وإنَّهُ لشرف لي أنْ أحظى بالمشاركة ببحث متواضع [١] حول أَثر من آثار الشيخ الوائليِّ (رحمه الله) لكتابه القيمِ (هوية التشيع) لعلي أوفَّقُ في دراسة موجزة لبعض أبوابه فتكون مشاركة فعالة ومساهمة في نشر العلم ورفد المكتبة الإسلامية الخالدة.

والحمد لله أَوْلاً وآخراً إِنَّهُ سَميعٌ مُجيبٌ.

(١) هذه الصفحات لبحث تمت المشاركة فيه في المؤتمر العلمي الذي أقامته جامعة الكوفة / مركز دراسات ا لكوفة والكلية الإسلامية الجامعة تحت شعار (الشيخ الوائلي وأثره الإصلاحي والفكري) للمدة ١٤-١٥ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٩-٢٠١٠/٤/٣٠م.

تمهيد
نبذة موجزة عن سيرة
الشيخ الوائلي

تمهيد: نبذة موجزة عن سيرة الشيخ الوائلي.

إنَّ مسألة (التشيع) من المسائل المهمة التي كتب فيها كثير من العلماء والباحثين وكذلك مَنْ كتب في الفِرق الإسلامية من حيث نشأتها وعقائدها، وقد استفاضت الكتابة في ذلك سواء من علماء المذاهب أنفسهم أم من غيرهم، ومن تلك المؤلفات التي تناولت ذلك بإيجاز ودقة هو كتاب (هوية التشيع) للدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) الذي آثر طباعة هذا الجهد ليُكمل بذلك بحثه المعمق والمتواصل عن هذه الطائفة الحقة، بعد أنْ بيَّنَ حقيقة وأصول هذه الطائفة ومعتقداتها خلال محاضراته المختلفة مِنْ على صرح المنبر الحسيني، ولكن في هذه المبادرة حاول التعمق وبيان بعض الخطوط العامة، ورد ما تُرْمى به الشيعة من أعدائها ودفع شبهاتهم وشكوكهم وأباطيلهم، كُلُّ ذلك من خلال صفحات هذا الكتاب التي تجاوز المئتين صفحة، ونحاول إنْ شاء الله تعالى في هذا البحث أنْ نستقرئ أهم الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب القيم.

ولأجل الإحاطة بذلك سوف نتناول تعريف موجز عن مؤلف الكتاب الشيخ الوائلي (رحمه الله)؛ لنكون على بينة من مكانة مؤلفه العلمية.

- نسبه وولادته:

الشيخ أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي، ولـــد في ١٧ربيع الأول ١٣٤٧هـ- ١٩٢٧م في ذكرى مولد نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكرى مولد حفيده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فسماه أبوه "أحمد" بدون ترددٍ أو تأملٍ، وقد نبغ من هذه الأسرة عدة أعلام كان لهم دور في تأريخ العراق الأدبي والثقافي.

أبوه الشيخ "حسون الوائلي" (ت١٣٨٣هـ) أحد خطباء المنبر الحـــسيني والذي كان له دور بارز في خطابته وحـــث النـــاس عـــلى أداء الواجـــب الجهادي في الثورة العراقية الكبرى سنة (١٩٢٠م)، وقد تلمذ الشيخ أولاً على يد والده الشيخ "حسون" فكانت نشأته نشأة فاضلة.

- دراسته وأساتذته:

تميزت مدينة النجف بأنها موئل العلم والأدب باعتبارها المركز الحيوي للحوزات العلمية والدراسات الدينية، لذلك كانت رافداً مهماً في حياته، حيث انبثق الشيخ (رحمه الله) من صميم هذه البيئة المملوءة بـــالمفكرين والعلماء والخطباء، حتى أصبح يمتاز بهذه الشخصية الثرية بالعلم والأدب والخطابة.

كانت خطوته الأولى هو التوجه نحو مكاتيب القرآن الكريم ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة ويخزن في عقله الآيات، وكان عمره حينذاك سبع سنوات.

وكان أول أستاذ تعلم على يديه هو الشيخ "عبد الكريم قفطان" الذي أشرف على تعليمه في مسجد الشيخ "علي نواية"، ثم ولج المدارس الرسمية وانتسب لمدرسة الملك "غازي" الابتدائية، ثم دخل في مدارس منتدى النشر حتى تخرج منها في عام ١٩٦٢م، وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ثم أكمل الماجستير في جامعة بغداد. وكانت رسالته (أحكام السجون) الكتاب المطبوع المتداول اليوم، ثم قدم الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة حتى نالها بأطروحته المعنونة (استغلال الأجير وموقف الإسلام منه).

وإلى جانب ذلك توغل الوائلي بالدراسة الحوزوية وقرأ مقدمات العلوم العربية والإسلامية وتدرج فيها حتى المراحل المتقدمة على يد نخبة من أساتذة الحوزة المبرزين منهم: الشيخ علي ثامر (ت١٣٨٤هـ)، والشيخ عبد المهدي مطر (ت١٣٩٠هـ)، والشيخ علي سماكة (ت١٣٩٠هـ)، والشيخ هادي القرشي، والسيد حسين مكي العاملي (ت ١٣٩٧هـ)، والشيخ علي كاشف الغطاء (١٤١١هـ)، والسيد محمد تقي الحكيم (ت١٤٢٣هـ)، والشيخ محمد حسين المظفر (ت١٣٨١هـ)، والشيخ محمد رضا المظفر

(١٣٨٣هـ)، والشيخ محمد تقي الإيرواني وغيرهم، وهؤلاء الأساتذة هم من كبار القوم ومفاخر الحوزة، وقطع الشيخ الوائلي شوطاً من حياته الدراسية التي يعتز بها في ظل هذه الكوكبة اللامعة.

عاصر الشيخ مجموعة من المراجع الكبار والعلماء في النجف الأشرف الذين كان لهم دور في الحركة العلمية والوصول بها إلى أعلى المستويات أمثال السيد محسن الحكيم (ت١٣٩٠هـ)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٨٧٧هـ)، والسيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ)، والشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، والسيد عبد الهادي الشيرازي (ت١٣٨٢هـ)، والشيخ مرتضى آل ياسين (ت١٣٩٧هـ)، والشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ)، والسيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، وغيرهم.

وكذا عاصر من الخطباء المبرزين أمثال الشيخ محمد علي اليعقوبي (ت١٣٨٥هـ)، والشيخ محمد علي قسام (ت١٣٧٣هـ)، والسيد صالح الحلي (ت١٣٥٩هـ)، إضافة للأدباء الكبار أمثال الشيخ محمد جواد الشبيبي (ت١٣٦٣هـ)، والشيخ محمد رضا الشبيبي (ت١٣٨٥هـ)، والشيخ علي الشرقي (ت١٣٨٤هـ)، ومحمد مهدي الجواهري (ت١٤١٨هـ) وغيرهم، كُلُّ هؤلاء كان لهم الأثر في إيجاد البيئة العلمية والأدبية الخصبة التي تنمو فيها القابليات والكفاءات ومنها استقى الشيخ الوائلي تراثه العلمي والأدبي.

- خدمته في المنبر الحسيني.

للشيخ الوائلي تأريخ عريق ومجد أصيل في خدمة المنبر الحسيني الشريف، فقد تدرج منذ بواكير حياته في هذا الاتجاه وتبلورت في شخصه إمارات النبوغ، وسمات التفوق منذ عهد بعيد، حسب ما تنص الوثائق والمستندات التأريخية والاجتماعية، حتى أصبح ركناً هاماً من أركان الخطابة الحسينية، وعلماً من أعلامها، إلى أنْ ألقتْ إليه زمامها، وسلمته قيادها، بعد أنْ خلت الساحة من فرسانها، فكان الوريث لميدانها، واستلام عنانها، بحق وجدارة، فكان من نوابغ الخطباء، ومقياس لمستوى الخطيب الناجح، والعبقرية الفذة في الأسلوب، لذلك اعتبر المؤسس للمدرسة الحديثة لخطابة المنبر الحسيني. ومنذ منتصف هذا القرن نال الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) مركز الصدارة في الخطابة الحسينية، فلم يستطع أنْ ينافسه فيها منافس، ولم يتمكن خطباء المنبر الحسيني أنْ يجاروه في قدراته الخطابية والفكرية والأدبية، فهو صاحب مدرسة مستقلة خاصة في الخطابة وذاك أمر لم يتيسر للكثيرين، ومدرسته رائدة في منهجها وإسلوبها، لذلك جاءت متفردة في عطاءاتها وأبعادها.

لقد فرض الشيخ الوائلي على كُلِّ مَنْ سمعه أنْ يتابعَ خطبته حتّى النهاية، ويحرص على متابعة بقية خطبه الحسينية. وكانت مجالس ما قبل الشيخ الوائلي تضم عادة كبار السن، وبسطاء الناس، أما مجالسه فقد

تميزت بحضور الطبقة المثقفة من الطلبة الجامعيين والأساتذة ورجال الأدب والفكر، وكل مَنْ يحضر يخرج بحصيلة مفيدة ينتفع بها، فالشيخ أخذ على نفسه أنْ يفيدَ سامعيه بالرأي الجديد والفكرة الغنية والموعظة المؤثرة.

وللشيخ مساهمات عدة في جوانب متعددة فقد عمل (رحمه الله) في منتدى النشر -الذي أسسه العلامة الشيخ محمد رضا المظفر- تلميذاً منذ تأسيسه وأستاذاً وأصبح في عام ١٩٧٠م سكرتيراً، ثم في عام ١٩٧٦م انتخب رئيساً له، وقد قام بتدريس مادة (التفسير) للمرحلة الرابعة في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن في تسعينيات القرن الماضي، وما زالت محاضراته تدرس للطلبة.

- **مؤلفاته**:

له مشاركة في الأدب والشعر إضافة للكتابة والتأليف، وقد طبعت له مؤلفاته عدة طبعات وهي:

* هوية التشيع.
* نحو تفسير علمي للقرآن.
* من فقه الجنس.
* ديوان شعر١، ٢.
* أحكام السجون.

* تجاربي مع المنبر.

* استغلال الأجير. [١]

والحديث عن سيرته الكريمة يحتاج إلى مؤلَّف خاص، وذلك لكثرة مواقفه وحياته الكريمة الحافلة بالآثار.

وفاته:

توفي (رحمه الله) في الكاظمية المقدسة يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٧/١٤م، وشُيِّع تشييعاً كبيراً [٢]، ثم دفن في النجف الأشرف في مقبرة الصحابي الجليل كميل بن زياد النخعي.

(١) اعتمدنا في الترجمة الموجزة لسيرة الشيخ الوائلي (رحمه الله) على الموقع الألكتروني لشبكة الأنترنت (www.waeli.com)، ومجلة الموسم التي تصدر في هولندا في عددها الخاص عن الشيخ الوائلي إضافة لبعض المؤلفات الموجزة.

(٢) لقد كان يوم تشييعه يوماً مهيباً لم يُرَ من قبل مثله كما أظن، فقد اجتمع المشيعون من جميع أقضية بغداد وغيرها إلى الكاظمية المقدسة، رغم الضروف الصعبة التي كان يعيشها البلد، وما هي إلا ساعات وآلاف المشيعين عند مغتسل الكاظمية وصلى عليه سماحة السيد علي الواعظ، ولقد وُفِّقْتُ للمشاركة في مراسيم التغسيل يومها وما يتعلق بأعمال التكفين.

قراءة موجزة
في أبواب الكتاب

قراءة موجزة في أبواب الكتاب.

نحاول في هذه الصفحات أنْ نستعرض أبواب كتاب "هوية التشيع" والتعليق عليه تفصيلاً تارة، وإيجازاً أخرى؛ لتتكون لنا في ختام المطاف صورة واضحة عن ما أراد المؤلف إيراده في كتابه هذا الذي يحمل عنواناً مهماً، له علاقة بمعتقدات فرقة كبيرة وأساسية من فرق المسلمين على اختلافها.

لقد تم تقسيم الكتاب –هوية التشيع– على أبواب خمسة، ويتضمن كُلُّ باب فصولاً عدة بعد مقدمة وتمهيد.

* الباب الأول تم تقسيمه على فصول أربعة:

١- متى بدأ التشيع.

٢- الأدلة على تكوُّن التشيع في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣- رواد التشيع الأوائل.

٤- الشيعة غير الروافض.

* الباب الثاني فقد تم تقسيمه على فصول ستة:

١- فارسية التشيع.

٢- أقوال الباحثين في فارسية التشيع.

٣- هوية التشيع العرقية.

٤- أئمة الشيعة ومَنْ هم.

٥- اللغة والمذاهب الإسلامية.

٦- أسباب في التشيع بالفارسية.

* الباب الثالث فقد تم تقسيمه على فصول خمسة:

١- هوية التشيع العقائدية.

٢- عبد الله بن سبأ.

٣- نسبة الشيعة لابن سبأ.

٤- مناقشة كتاب نشأة الآراء والمذاهب.

٥- الإمام المهدي (عج).

* الباب الرابع فقد تم تخصيصه للرد على الافتراءات التي تنسب إلى هذه الطائفة.

فهذه هي الموضوعات الرئيسة التي تناولها هذا الكتاب القيم، والتي يلاحظ أهميتها من خلال عناوينها التي أشرنا إليها، ولذا فإنَّ الشيخ (رحمه الله) يشير إلى أهمية البحث في هذا الموضوع وذلك في مقدمة الكتاب حيث يقول: ((إنَّ هذه الظاهرة -إقبال القراء على الكتاب- تشجع على الكتابة في أمثال هذا الموضوع مما هو محل أخذ وردٍّ بين فرق المسلمين، لا لزيادة الركام بل لصهره حتى يذوب، على أنْ يكون من وراء الكتابة في هذه المواضيع روح مؤمن ينشد وجه الله تعالى، ويتوخى إزالة الضباب عن طريق المعالم المشتركة بين المسلمين في

مختلف أبعاد الحضارة الإسلامية مما هو في حكم شرعي أو عقيدة إسلامية أو تأريخ مُسَلَّمٍ)). [١]

من خلال هذه الكلمات نلاحظ الغاية السامية التي من أجلها يُؤَلَّفُ هذا الكتاب وهي الوحدة بين المسلمين والمحبة والتآلف وسد الطرق أمام أعداء الإسلام الذين يحاولون تمزيق الجسد الإسلامي، بل يجب أنْ تُعرف عقائد كُلِّ طائفة بموضوعية دون افتراء وكذب ليكون المسلم عندها حراً في اختيار أيِّ معتقد يراه سليماً يوافق القواعد الصحيحة للقرآن والسنة الشريفة اللذين أُمرنا بالتمسك بهما بعد الدراسة والتحقيق والتمحيص، فليس الفخر أنْ نفترق ونتعدد وكُلٌّ يَدَّعي أنه على الصواب، بل الفخر أنْ نتمسك بمبادئ القرآن الكريم والسنة الشريفة التي تدعو إلى البر والتقوى، والمحبة والتعاون، وأعتقد أنَّ حقيقة هذا الكتاب تصبُّ في هذه الغاية، وهذا ما نراه من خلال الكلمات الأولى للمؤلف في المقدمة، فبعد ما تقدم يقول: ((أُضَمِّنُ هذه الوريقات دعوة إلى فرق المسلمين أنْ يدرسوا بعضهم البعض بروح عملية، وأنْ يتبينوا هذه الخلفيات المشبوهة التي لعبت دوراً كبيراً وما زالت في تمزيق المسلمين، ليُقَوِّموا نتائج هذا الوضع، ليروا مَنْ هو الذي يقطف الثمار من وراء هذا الوضع، وبعد ذلك كله نحن

(١) هوية التشيع،الشيخ الوائلي ص١١

مدعوُّون إلى وضع التأريخ في ساحة الاتهام وبالحروف الكبيرة للمحاكمة وننتهي إلى التخلص من كثير من مآسيه التي نعيشها)). [١]

إذاً فالهدف الأساس الذي يعتمد عليه الشيخ (رحمه الله) في هذا الكتاب هو بيان جانب من جوانب هذه الطائفة دون ما يشوبها من الآراء والأباطيل التي يطلقها بعض الكتاب، لنكون أمام صورة واضحة لفرق المسلمين دون الجهل بها.

وسوف نتناول اختيار بعض الفصول المهمة التي تحتاج إلى دراسة وتوضيح ذلك وبيان السُّبُل التي سلكها الشيخ (رحمه الله) من أجل بيان هوية الشيعة وحقيقتهم، لا كما يريد أنْ يصوِّرها مَنْ يشاء من خلال فوهة ضيقة، وكأنَّ التشيع مرحلة من مراحل التأريخ التي كان لها أثر سلبي عليه، يتجاهلون كل تلك النصوص وذلك الوجود الكبير لهم عبر التأريخ، سواء الدول التي حكمت باسم التشيع، أو أولئك الأعلام الكبار الذي كان لهم إسهام كبير في العلوم الإسلامية وتقدم المسلمين في مجالات شتى، وكذا ما كان دورهم الكبير في الجهاد عن الشريعة المقدسة وبلاد المسلمين في جميع المراحل التأريخية.

ونبدأ مع الكتاب ابتداء من الباب الأول وما شمله التمهيد، لما فيه من الأهمية الكبيرة لتلك البحوث القيمة التي تناولها الكتاب.

---

(١) المصدر السابق. ص١٧

الباب الأول:

في التمهيد ابتدأ المؤلف الشيخ الوائلي (رحمه الله) بوضع تمهيد لموضوع التشيع وما قيل في تعريفه من الناحية اللغوية والاصطلاحية وهو أمر لا خلاف فيه إجمالاً، حيث تم تناوله من قبل جميع الباحثين في العقائد الإسلامية وعلم الكلام عامة، والباحثين في الفرق الإسلامية خاصة، وإنْ كان هناك اختلاف في وقت نشوء التشيع على آراء متعددة.

أما من حيث التعريف فيذكر الشيخ (رحمه الله) ذلك فيقول: ((التشيعُ لغةً هو المشايعة أي المتابعة والمناصرة والموالاة، فالشيعة بالمعنى اللغوي هم الأتباع والأنصار وقد غلب هذا الاسم على اتباع علي (عليه السلام) حتى اختصَّ بهم وأصبح إذا أُطلق ينصرف إليهم، وأما اصطلاحاً فهو الاعتقاد بآراء وأفكار معينة، والشهيد الثاني في كتابه "شرح اللمعة" قال: والشيعة مَنْ شايعَ علياً أي اتبعه وقدَّمَهُ على غيرهِ في الإمامة وإنْ لم يوافق على إمامة باقي الأئمة، فيدخل فيهم الإمامية والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفطحية)). [1]

في هذا النص حاول الشيخ (رحمه الله) أنْ يضع القارئ أمام المفهوم الحقيقي لهذا اللفظ (الشيعة) سواء كان ذلك في لغة العرب، أو ما عرف بعد ذلك بين الناس في مصطلح خاص يُمَيز عن غيره من فرق

(١) المصدر السابق ص٢١

المسلمين الأخرى، وقد استعرض عدة أقوال في بيان مصطلح الشيعة منهم المتخصصون في علوم الشريعة عامة وأصحاب الملل والموسوعات فذكر أقوال الشيخ المفيد [١] والشهيد الثاني [٢] والشهرستاني [٣]

---

(١) الشيخ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الحارثي، البغدادي، المعروف بـ(ابن المعلم) ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٣٣٦هـ) في عكبرا،قال فيه علماء العامة: ((هو شيخ من مشايخ الإمامية، رئيس الكلام والفقه والجدل، وكان يناظر أهل كل عقيدة، وكانت جنازته مشهورة، شيعه ثمانون ألفاً....))، له مصنفات عدة منها: *الإرشاد. *المقنعة. *الإفصاح. *أصول الفقه. وغيرها، توفي ليلة الجمعة في الثالث من شهر رمضان سنة (٤١٣ هـ) ببغداد، ودفن بداره سنين ببغداد ثم نقل إلى الكاظمية فدفن إلى جانب أستاذه ابن قولويه القمي، وقبره الآن في وسط الرواق الشرقي ويزار.

(٢) الشهيد الثاني: زين الدين علي بن أحمد العاملي الملقب بـ(الشهيد الثاني) ولد في الثالث من شوال سنة (٩١١هـ) بـ(جبع)، سافر إلى بلدان متعددة لطلب العلم فبلغ شيوخه من العامة والخاصة خمسة وعشرون شيخاً، له مؤلفات متعددة منها: *مسالك الإفهام إلى شرائع الإسلام. *الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية. * منية المريد في آداب المفيد والمستفيد. وغيرها، استشهد قتلاً في قرية (بايزيد) في طريق إسلامبول في رجب سنة ٩٦٥هـ.

(٣) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد، ولد بـ(شهرستان) سنة (٤٧٩هـ) ومات ودفن بها سنة (٥٤٨هـ)، له مؤلفات عدة منها: *نهاية الاقدام في علم الكلام. *غاية المرام في علم الكلام. *دقائق الأوهام. *الملل والنحل. وغيرها والأخير من أشهرها.

والنوبختي[١] ومحمد فريد وجدي[٢] وفي ذلك تنوع الفترات الزمنية والمعارف والاتجاهات، ولكن كُلَّ هؤلاء يتفقون على جوهر الأمر وهو أنَّ التشيع هو متابعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) خاصة، فيخلص الشيخ إلى القول: ((هذه النماذج من التعاريف إنما قدمتُها لنعرفَ ما هي مقدمات التشيع في نظر الباحثين، والواضح أنَّ جوهرَ التشيعِ هو الالتزام بإمامة عليّ وولده وتقديمه على غيره لوجود نصوص عندهم في ذلك، وينتج من ذلك الالتزام بأمرين؛ الأول: بما أنَّ الإمامة وليدة النصوص فهي امتداد للنبوة، والثاني: إنَّ الإمامة لا تتم بالانتخاب والاختيار وإنما بالتعيين من الله تعالى، فهو الذي ينصُّ على الإمام عن طريق النبي)).[٣]

(١) النوبختي: أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، المتوفى زهاء (٣٠٠هـ)، وكان أحد متكلمي عصره، وكانت أسرته (بنو نوبخت) من أعاظم الشيعة وشخصياتهم المتلألئة.

(٢) محمد فريد وجدي: عالم، حكيم، كاتب، صحافي. ولد ونشأ بالإسكندرية سنة (١٢٩٢هـ) ، وأقام في دمياط، وانتقل إلى السويس، فأصدر بها مجلة الحياة، ثم أنشأ مطبعة أصدر بها جريدة الدستور اليومية ثم الوجديات وهي شبه مجلة أسبوعية وتولي تحرير مجلة الأزهر وإدارتها وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٧٣هـ) من مؤلفاته: *دائرة المعارف القرن العشرين *على أطلال المذهب المادي. *صفوة العرفان في تفسير القرآن.

(٣) المصدر السابق ص٢١

وهذه النتيجة التي يشير إليه هي مهمة جداً ويجب على الباحث عن معتقدات الفرق الإسلامية أنْ يتطرق إلى بيان أصل نشوء هذه الفِرق، وهل أنَّ لها علاقةً بالشريعة أم مُتَطَفِّلَة عليها وخارجة عنها تَدَّعي الانتماء إليها، فالشيعة الإمامية على الخصوص يذهبون إلى هذين الأمرين اللذين أشار إليهما (رحمه الله) ويعتقدون به وهم على ذلك وبه يدينون لا عاطفةً بل عقلاً وفكراً تؤيده الشريعة المقدسة بنصوصها المتواترة الخالدة والتي سوف نتطرق إلى بيانها في صفحات سابقة ولكن من أهمها وأشهرها التي أشار إليها الشيخ (رحمه الله) ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال: كلهم من قريش [١]، وفي حديث آخر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة [٢]، وفي حديث ثالث عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. [٣]

(١) المصدر السابق عن البخاري.

(٢) المصدر السابق عن مسلم.

(٣) المصدر السابق عن الترمذي.

وما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم عليٌّ وآخرهم القائم هم خلفائي وأوصيائي. [١]

إذاً من خلال ما تقدم يتبين لنا وللدارس والباحث المراد من لفظ التشيع لغة واصطلاحاً ومعتقداً من خلال كلمات الأعلام.

وأما الزمن الذي نشأ التشيع فيه، فقد ورد في ذلك أقوال عدة أشار إليها الشيخ الوائلي (رحمه الله) ولكن لو تصفحنا تلك الآراء نرى أنها لم تتجاوز النصف الأول من القرن الهجري الأول أي في أوج الدعوة الإسلامية، بل بالدقة العلمية والتأريخية أنه ولد في زمن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما عليه محققو الإمامية، وقد أشار المؤلف (رحمه الله) إلى ذلك بعد استعراض أقول عدد من المؤرخين والعلماء، فقال في الفصل الأول وهو يستعرض الأقوال والتي قد صَنَّفها إلى أقوال خمسة: ((إنَّ المؤرخين والباحثين عندما يحددون فترة نشوء التشيع يتوزَّعون إلى مدىً يبتدأ من أيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهايته بعد مقتل الحسين (عليه السلام) وسأستعرض لك نماذج من آرائهم وأترك ما أذهب إليه آخر الفصل. أولاً: إنهم تَكَوَّنوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وممن يذهب لهذا ابن خلدون، وأحمد أمين، والدكتور حسن

(١) المصدر السابق عن الصدوق في كمال الدين ٢٥٩/١

إبراهيم، واليعقوبي، والمستشرق جولد تسيهر. ثانياً: إنهم تَكَوَّنوا أيام عثمان ويذهب لذلك ابن حزم. ثالثاً: إنهم تَكَوَّنوا أيام خلافة الإمام علي (عليه السلام) ويذهب لذلك النوبختي في فرق الشيعة وابن النديم في الفهرست. رابعاً: إنهم تَكَوَّنوا بعد واقعة الطف ويذهب لذلك المستشرقون مثل بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية وغيره)). [١]

فهذه مجمل الآراء التي يستعرضها الشيخ (رحمه الله) في نشوء التشيع، ولكنه بالتالي لا يرتضيها بل يحاول أنْ يَرُدَّها ويناقشها من خلال الأدلة التي يعتمد عليها والتي هي بالأصل ما ذهب إليه أكابر علماء الطائفة، فيقول بعد إيراد ذلك: ((إنَّ هذه الآراء الأربعة في نشأة التشيع لا تعمد أمام المناقشة، ولاأريد أنْ أتعجَّلَ الردَّ عليها فسأذكر الرأي الخامس ومنه يتضح تماماً، خامساً: رأي الشيعة وغيرهم من المحققين من المذاهب الأخرى أنَّ التشيع ولد أيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه هو الذي غرسه في النفوس عن طريق الأحاديث التي وردت على لسانه)). [٢]

إنَّ هذه الأقوال الخمسة التي وردت في التشيع قال بها عدد من العلماء والباحثون أيضاً فيما ذكروه عند التعرض لزمن نشوء التشيع، يقول الدكتور "حسين علي محفوظ" في كتابه (تأريخ الشيعة): ((أجمعتْ

(١) المصدر السابق ص٣٢-٣٤

(٢) المصدر السابق ص٣٥

معجماتُ اللغةِ أنَّ لفظَ الشيعةِ معناهُ الأتباع والأنصار وأنه غلب على كُلِّ مَنْ يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً. وفي تأريخ نشوء الشيعة قولان: فالأول يجعلها في زمن النبي، والثاني يزعم أنها نشأت بعد وفاته وهو في ذلك على خمسة آراء: ١-يرى أنها نشأت يوم السقيفة. ٢- يرى أنها نشأت أيام فتنة الدار. ٣- يرى أنها نشأت يوم الجمل. ٤- يرى أنها نشأت بصفين يوم خروج الخوارج. ٥-يرى أنها نشأت بعد مقتل الحسين بسبب ندم القوم على ما فرطوا في صفه)). [1]

إنَّ الرأي السائد الذي يذهب إليه علماؤنا من أنَّ نشوء التشيع له امتداد بالرسالة الإسلامية في أيامها الأولى، حيث يذهب العلامة الشيخ "محمد حسين المظفر" في كتابه (تأريخ الشيعة) فيقول: ((لو قلنا أنَّ الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الأول الذي هتف فيه المنقذ الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صادحاً بكلمة "لا إله إلا الله" في شعاب مكة وجبالها فإنه لما نزل عليه قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأَقْرَبينَ﴾ وجمع النبي بني هاشم وأنذرهم وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) مَنْ يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فلما لم يجبه إلى ما أراد غير المرتضى، قال لهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا،

(١) ص٨

فكانت الدعوة لأبي الحسن (عليه السلام) من صاحب الرسالة تمشي منه جنباً لجنب مع الدعوة للشهادتين ومن ثم كان أبو ذر الغفاري شيعة علي وهو رابع الإسلام أو سادسهم)).[١]

ويؤكد الشيخ (رحمه الله) ما يذهب إليه من نشوء التشيع في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الروايات التي وردت وتؤكد على ذلك، فمنها ما رواه السيوطي في تفسيره عن ابن عساكر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ﴾[٢] بسنده عن

(١) ص١٨، وقال الشيخ "جعفر السبحاني" في كتابه "بحوث في الملل والنحل" تحت عنوان "التشيع حجازي المحتد والمولد": ((التشيع حجازي المحتد والمولد إذ فيه نشأ، وفي تربته غرست شجرته ثم نمت وكبرت، وفيه حث النبي الأكرم على ولاء الإمام وسَمَّى أولياءه وشيعته، وحدَّث بحديث الثقلين، وجعل أئمة أهل البيت قرناء الكتاب في العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وقد أشار إلى بعض ما ذكر مؤلف خطط الشام وقال إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي حث على ولاء علي وأهل بيته وهو أول من سمى أولياءه بالشيعة وفي عهده ظهر التشيع وسمى جماعة بالشيعة)). ويقول أيضاً: ((إنَّ التشيع لم يكن فكرةً سياسيةً ابتدعتها الأهواء، وطبعته بطابع الدين، ولا عقيدة دينية لا تمت إلى الإسلام بصلة، بل هو نفس الإسلام في مجالي العقيدة والتشريع، جاء به النبي الأكرم في كتابه وسنته، وليس التشيع إلا تعبيراً آخراً عن الإسلام وفي إطار ولاء أهل بيته وتتبع آثارهم وأقوالهم وآرائهم)). ينظر: ٧١٨/٦

(٢) سورة البينة: الآية ٧

جابر بن عبد الله قال: كُنّا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل علي (عليه السلام) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. وفي التفسير نفسه عن ابن عدي عن ابن عباس، وكذا أخرجه ابن مردويه عن علي (عليه السلام) في التفسير المذكور، ويذكر الشيخ (رحمه الله) بعد تأييد ما يذهب إليه بهذه الأحاديث بقوله: ((ومن هنا ذهب أبو حاتم الرازي إلى أنَّ أول اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو "الشيعة" وكان هذا لقب أربعة من الصحابة؛ أبو ذر وعمار ومقداد وسلمان الفارسي، وبعد صِفِّين اشتهر موالي عليّ بهذا اللقب، ولهذا ذهب الباحثون إلى تخطئةِ مَنْ يُؤَرِّخ للتشيع وظهوره بعصور متأخرة، مع أنَّ الأدلة التأريخية متوفرة على وجودهم أيام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم))).[1]

من خلال ما تقدم يثبت أنَّ التشيعَ أصوله وفروعه نشأ منذ العهد الأول للرسالة السماوية وليس مذهب متجدد حدث بعد حين من البعثة النبوية كما حصل لنشوء المذاهب الإسلامية الأخرى التي نشأت على أيدي مؤسسيها بعد مضي أكثر من قرن على البعثة النبوية المباركة مثل الحنفي استناداً إلى أبي حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) أو الشافعي (ت٢٠٤هـ)

(١) هوية التشيع ص ٣٦-٣٧

أو المالكي (ت١٧٩هـ) أو الحنبلي (ت٢٤١هـ)، فحديث الأئمة من أهل البيت حديث جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

بعد ذلك يذكر الشيخ (رحمه الله) أدلة ثلاثة على نشوء التشيع في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم يستعرض بعد ذلك لعدد كبير من رواد التشيع الأوائل من الصحابة يبلغ عددهم (١٣٣) ابتداءً من (جندب أبو ذر الغفاري) وانتهاء بـ(حرملة بن المنذر الطائي أبو زبيد)، ويستعرض الشيخ في التفاتة لطيفة جداً في الفصل الرابع من هذا الباب إلى بيان أمر مهم جداً -في نظري- وهو الحديث عن أنَّ الشيعة هم غيرُ الروافض كما يريد أنْ يذكر ذلك أعداء الشيعة، فيبتدأ بحثه بذكر كلمات اللغويين في معنى الرفض فذكر كلام "الزبيدي" في كتابه تاج العروس ثم "الجوهري" في الصحاح ثم مقالة أحد علماء الكلام من المعتزلة وهو القاضي "عياض" الذي فَرَّقَ بين ذكر الشيعة والروافض، وبعد ذلك ينتقل لبيان بعض الأسباب التي دعت بعض المسلمين إلى شتم بعض مَنْ يدَّعي الخلافة زوراً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخصوصاً الأمويين منهم الذين أحدثوا في الإسلام الأعاجيب إضافة للاعتداءات على الحقوق العامة والخاصة والتي دعت إلى شتمهم ولعنهم والبراءة منهم إلى الله تعالى، فيذكر الشيخ (رحمه الله) من تلك الأفعال مثلاً "يزيد بن معاوية" فيقول: ((وإليك مثالاً آخراً، لقد تولى يزيد بن معاوية الحكم لمدة ثلاث

سنـــوات قتل في سنـــة منها الحسين وأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسبى عياله وذبح أطفالهم وعمل فيهم أعمالاً لا تصدر مـــن كسرى وقيصر، وفي سنة ثانية قتل عشرة آلاف من المسلمين وسبعمائة من الصحابة حملة القرآن واستباح المدينة ثلاثة أيام، وفي سنة ثالثـــة ســـلط المنجنيقات على الكعبة وهدمها وأحرقها وزعزع أركانها وجعل القتـــال داخل المسجد الحرام وسالَ الدم الحرام حتى في قـــاع الكعبـــة، وقـــد استعرض ذلك مفصلاً، ومع ذلك كله تجد كثيراً من أعلام السنة يُخَطِّؤون مَنْ يخرج لقتال يزيد وأنَّ الخارج عليه يحدث فتنة)). (١)

---

(١) المصدر السابق ص٥٧ / إننا لو تصفحنا بعض الأحاديث التي نُسبت زوراً للنبـــي (صلى الله عليه وآله وسلم) لوجدنا المبرر لبعض أولئـــك الفقهـــاء الـــذين تـــراهم يدافعون عن يزيد بن معاوية، ويجب على العلماء الأحرار مـــن العـــصبية والـــذين يبتغون الخدمة الحقيقية للشريعة تطهير تلك الأحاديث من كتبهم لأنها مـــن أخطـــر أسباب الشقاق واللجاج، فمثلاً يقول قاضي القضاة أبو يعـــلى الفـــراء الحنـــبلي في الأحكام السلطانية حول إمامة المسلمين: (أنها تثبت بالقهر والغلبة ولا تفتقـــر إلى العقد، ومَنْ غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسُـــمِّيَ أمير المؤمنين فلا يحـــل لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يبيتَ ولا يراه إماماً براً كان أو فـــاجراً فهـــو أمـــير المؤمنين)، وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدايَ ولا يستنونَ بسنَّتي وسيقوم فـــيهم رجالٌ قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس)، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إنْ أدركت ذلك ؟ قال: تسمع وتطيع للأمير وإنْ ضرب ظهرك وأخذ مالك فاســـمعْ

فمن خلال هذا المثل الذي يذكره الشيخ (رحمه الله) يريد أنْ يبينَ أنَّ مسألة الشتم واللعن التي تصدر ضد أمثال هؤلاء هي ليست ابتداء ولكن جزاء لعمله الشنيع ضد الشريعة المقدسة، وهل هناك أعظم من قتل سيد شباب أهل الجنة، بل مَنْ قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنا مِنْ حُسَيْنٍ، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الأَسْباطِ)).(١)، وقتل آلاف النفوس

وأطِعْ. وروي عن ابن عباس أنّ رسول الله قال: (مَنْ رأى من إمامِهِ شيئاً يكرهه فليصبر فإنه مَنْ فَرَّقَ الجماعةَ شبراً فماتَ ماتَ ميتةً جاهليةً)، وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه حين كان من أمر الحَرَّةِ ما كان زمن يزيد بن معاوية قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (مَنْ خلع يداً من طاعةٍ لقي اللهَ يومَ القيامةِ لا حجةَ له، ومَنْ ماتَ وليسَ في عنقهِ بيعةً ماتَ ميتةً جاهليةً)، وقال النووي في شرحه باب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية: (وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك)، وقال الباقلاني: (قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث لا ينخلع الإمامُ بفسقِهِ وظلمِهِ بغصبِ الأموالِ وضربِ الأبشارِ وتناولِ النفوسِ المحرَّمةِ وتضييعِ الحقوقِ وتعطيل الحدود ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله). وسوف أترك التعليق على هذه الأحاديث للضمائر الحرة من التعصب !!.

(١) سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته، الشيخ عبد الحسين الأميني ص٣٠

البريئة وهدم الكعبة فما هو الفعل تجاه هؤلاء الطواغيت هل هو الـــترحُّمُ والبكاءُ عليهم والدعاءُ لهم أم اللعنة والبراءة منهم ؟!

ولكن مع ذلك كله يأتي مَنْ يَدَّعي العلم والإسلام ويبرر لأمثـــال هـــؤلاء ويتوقـــف من إصدار موقف بحقهم، أمثال الغزالي وأتباعه، حيـــث ذكـــر الشيخ (رحمه الله) مقالتهم ويمكن مراجعة ذلك.[1]

إذاً فالشيخ أراد أنْ يبين الفرق بين الروافض والشيعة في هذا الفصل ويعالج في الوقت نفسه بعض الثغرات التي أدت إلى مثل هـــذا الـــشقاق وأسبابها، ولذا نرى أنَّ أعداء أهل البيت اختلقوا هذا اللفـــظ (الرافـــضة) ورموا به الشيعة ونسبوا أحاديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله وســـلم) بهتاناً وزوراً تتضمن ذم وتكفير الرافضة ليحققوا بـــذلك مـــآربهم باســـم الشريعة المقدسة.

---

(١) هوية التشيع ص٥٨ وما بعده

الباب الثاني:

في هذا الباب من الكتاب أكَّدَ الشيخ (رحمه الله) على مسألة مهمة أيضاً كانت للأقلام المأجورة وأتباع السلاطين ووعّاضهم دور كبير فيها وهو رمي التشيع بأنَّ أصولَهُ فارسية، وفيه من المعتقدات التي لها علاقة بالديانات الفارسية القديمة، وهذا -بصراحة- ضَرْبٌ من الجهل والمكابرة، بل العصبية الجاهلية القديمة التي امتزجت بالقومية الحديثة التي أخذت تأكل وتشرب في نفوس بعض الكُتّاب، وكأنَّ العروبة والانتماء لها مدح وفخر وما سواها قدح وعيب، وكأنهم لم يستمعوا إلى كلام الله تعالى الذي نزل بلغتهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١)، فهذه من المصائب الكبرى التي ابتُلِيت الأمة الإسلامية بها، ولعمري لو كان المنطق كذلك كما يدَّعون فيمكن القول لهم هل كان أبو حنيفة النعمان وعبد القادر الكيلاني والبخاري ومسلم وغيرهم من العرب!!

فينبغي علينا أنْ نحاربَ تلك النفوس والأفكار التي ما زالت شوائب الجاهلية تتحكَّمُ فيها، ونجعل لتلك الأقلام حداً لكي لا تكتب ما يلوِّث التأريخ ويزرع فيه الشقوق والثغرات لتكون ذريعة لأعداء الإسلام في أنْ ينسبوا إليه ما ليس منه.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣

إنَّ الشيخ (رحمه الله) بعد أنْ بيَّن حقيقة الشيعة والتشيع وجذورها في الباب الأول يحاول في هذا الباب أنْ يناقش بعض الموضوعات التي تُثار حول الشيعة ليبيِّنَ زيفها وبطلانها، فيبدأ بالردِّ على القول بفارسية التشيع وكأنَّ القائل بذلك لم يطلع -على الأقل- على كلمات اللغويين التي بينت المراد من لفظ الشيعة، فيقول (رحمه الله) في مناقشة ذلك:((هذا الموضوع من المواضيع التي كَثُرَ الحديث حولها وهي في واقعها تمثل جزء من محاصرة التشيع، إنَّ خصوم الشيعة ومَنْ تبعهم من المستشرقين وكُلٌّ يضرب على وتر يستهدفه، جعلوا هذه القضية من الأمور المُسَلَّمة، وضلع تلامذتهم في ركابهم، وحَشَّدوا كُلَّ وسائلهم لترسيخها في الأذهان، فما تركوا وسيلة لإثبات أنَّ التشيعَ فارسي شكلاً ومضموناً إلا وأخذوا بها، مع تفاهة هذا المدعى كما سنرى ... إذا كان الباحثون في التشيع يقصدون من الفارسية مضمون التشيع الفكري -وهذا ما استبعده- فإنه لا يمكن أنْ يقول به قائل إذ لا يُتَصور أنَّ إنساناً يفترض لأحكام شرعية نوعاً من العرقية، وعليه فلابد من استبعاد هذا الفرض من فارسية التشيع والرجوع إلى فروض أخرى في هذا الموضوع يفترضها الباحثون)) [1]، وهذا أمر واضح يشير إليه الشيخ (رحمه الله) مع العلم أنَّ هؤلاء القائلين بفارسية التشيع لم يذكروا الأدلة المقنعة لقولهم هذا بل ما ذكروه لا يمكن

(١) هوية التشيع ص٦٥-٦٦

عدُّهُ دليلاً بل مجرد أهواء، وعلينا أنْ نحاكمهم ونقول لهم: أيَّ عقيدة من معتقدات الشيعة لها علاقة بالفارسية أو الديانات الفارسية، فهل الاعتقاد بأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نصَّ على إمامة علي (عليه السلام) بصريح القرآن والسنة له علاقة بالفارسية ؟!

أم الاعتقاد بعصمة النبي والأئمة (عليهم السلام) !!

أم القول بالشفاعة والمعاد وغيرها من العقائد الواضحة الدليل من الشريعة المقدسة!! وغير ذلك ..

فإنها مجرد أوهام وأقاويل وأباطيل لذا عَبَّرَ الشيخ بقوله: (مع تفاهة هذا المُدَّعى كما سنرى) بالرغم من أنَّ مؤلفات عقائد الشيعة تملأ الأرض ويمكن لكُلِّ باحث أنْ يَطَّلِعَ عليها ويجعل لها دراسة مقارنة بين الديانات والطوائف ليخرج بنتيجة معينة تنفعه في تقييم واقع الفرق الإسلامية دون رمي التهم والافتراءات.

بعد ذلك ينتقل الشيخ لبيان فرض آخر من تصور القائل بفارسية التشيع فيقول: ((هناك فرض آخر لتصور فارسية التشيع، هو أنَّ هناك مفاهيم معينة بالحضارة الفارسية انتقلت إلى التشيع بمعناه الاصطلاحي عن طريق مَنِ اعتنق التشيع من الفرس ولم يستوعب التشيع كل أبعادهم

فجاء من تصور هذه المعتقدات جزء من ماهية التشيع وبقيت هكذا يتداولها خلف عن سلف)). [١]

إنَّ هذا الفرض الذي يذكرونه أوهن من بيت العنكبوت ولا يمكن أنْ يصدرَ من باحث يبحث بطريقة علمية منهجية، فهل أنَّ أهل فارس دخلوا إلى التشيع فقط أم إلى الإسلام أيضاً، وهل أنَّ كلهم شيعة أم منهم من الفرق الأخرى، ولو كان الأمر كما يَدَّعون لدخلَ في صميم العقيدة الإسلامية أيضاً من معتقداتهم، فكيف يجوز دخول ذلك في التشيع وعدم دخوله في الإسلام، فهذا أمر غريب ؟! ولذا أشار الشيخ (رحمه الله) إلى هذا المعنى ليوقظ تلك العقول عن سباتها فيقول: ((إنَّ هذا الإشكال بناء على فرض حدوث مضمونه فإنه يَرِدُ على المضمون الإسلامي نفسه)). [٢]

ثم ينتقل (رحمه الله) ليستعرض كلمات هؤلاء الذين قالوا بفارسية التشيع ويرد عليها موجزاً تارةً وتفصيلاً أخرى، ويُبين الفترة الزمنية التي نشأت هذه الفكرة أو الدعوى، حيث التأكيد على أنَّ الفكرة قد رَوَّجَ لها عدد المستشرقون وسار عليها طلابهم، فيقول: ((إنَّ أصحاب الغرض

(١) المصدر السابق ص٦٧

(٢) المصدر السابق ص٦٨

الأصيل في الضرب على هذا الوتر كثيرون، ومن أكثرهم حماساً في ذلك المستشرقون وتلاميذهم، وإليك بعض آرائهم:

١- المستشرق دوزي: [١] حيث يقول إنَّ أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية وذلك لأنَّ العرب تدين بالحرية، والفرس تدين بالمُلْكِ والوراثة ولايعرفون معنى الانتخاب، ولما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولداً فعليٌّ أولى بالخلافة من بعده. [٢]

---

(١) مستشرق هولندي ولد في ١٨٢٠/٢/٢١م في مدينة ليدن، درس اللغة العربية على يد ناظر إحدى المدارس الثانوية، ألف كتاب "معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب"، اشتهر بأبحاثه في تأريخ العرب في إسبانيا، كتب فصلاً عن "تأريخ الإسلام" من فصول كتاب "تأريخ الأديان الكبرى" تناول تأريخ الإسلام من عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى هام ١٨٦٣م وهو عام نشر هذا الفصل، توفي في ليدن سنة ١٨٨٣م.

(٢) إنَّ بطلانَ مثل هذه الأقوال واضحة لا تحتاج إلى كثرةِ أدلةٍ وضياعِ وقتٍ حيث أنَّ الأمر لو كان كذلك لكان الأمويون أولى به من سواهم والعباسيون أيضاً الذين حَوَّلوا خلافة المسلمين مُلكاً عضوضاً، وهل فات المستشرقين وأمثالهم أنَّ الذين أنكروا السقيفة وبيعة أبي بكر كانوا من كبار الصحابة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بل من أهل الحَلِّ والعقد أمثال علي بن أبي طالب الذي هو مع الحق والحق معه حيثما دار، وأبو ذر الغفاري الذي ما أقلت الغبراء ولاأضلت الخضراء أصدق ذي لهجة منه، وعمار بن ياسر الذي تقتله الفئة الباغية وسلمان والزبير والعباس وغيرهم فأيُّ علاقة للفرس بالموضوع ؟!

٢- المستشرق فان فلوتن: [١] حيث رجح أنَّ الشيعة أخذت آراءهم من اليهود أكثر من الفرس ومبادئهم.

٣- المستشرق براون: [٢] حيث يذهب إلى أنَّ نظرية الحق الإلهي لم تُعتنق بقوة كما اعتنقت في فارس ولَمَّحَ إلى أخذ الشيعة منهم.

٤- المستشرق بروكلمان: [٣] حيث يقول وحزب الشيعة الذي أصبح فيما بعد ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب، واليوم لا يزال ضريح الحسين في كربلاء أقوى محجة عند الشيعة وبخاصة الفرس الذين ما برحوا يعتبرون الثواء الأخير في جواره غاية ما يطمعون به.

---

(١) مستشرق هولندي من أهم أعماله تحقيق تحقيق كتاب البخلاء للجاحظ، وتحقيق كتاب مفاتيح العلو للخوارزمي، وتأليفه "أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والعقائد المهدوية في عهد الخلافة الأموية" توفي سنة ١٩٠٣م.

(٢) مستشرق إنجليزي ولد سنة ١٨٦٢م، تخصص في الأدب الفارسي وهو صاحب أفضل وأوسع كتاب في التأريخ الأدبي لفارس، قام برحلات عديدة إلى باريس وتونس ومصر وقبرص واتانبول للدراسة والاطلاع على المخطوطات، ، له تحقيق لعدة كتب فارسية، وكتب عن فرقة البابية والبهائية في إيران ومعتقداتهم.

(٣) مستشرق ألماني ولد في ١٨٦٨/٩/١٧م في مدينة روستوك، مؤلف الكتاب المشهور "تأريخ الأدب العربي"، قم بتحقيق الجزء الثامن لطبقات ابن سعد ونشر في برلين سنة ١٩٠٤م، وكتب الفصل الخاص عن تأريخ الإسلام في كتاب "تأريخ العالم"، وكان يتقن عشر لغات شرقية منها العربية والسريانية والتركية والفارسية وغيرها، توفي في ١٩٥٦/٥/٦م.

وبالجملة فإنَّ مراجعة أيِّ بحث للمستشرقين في هذا الموضوع يظهر منه أنَّ كثيراً منهم يذهبون إلى هذا الرأي ولأسباب تخفى)).[1]

إنَّ التأمل في هذه الكلمات يؤيِّدُ ما يذهب إليه الشيخ (رحمه الله) من الأسباب الخفية وراء هذه الاتهامات، وأعتقد إنَّ المسؤولية في ذلك تقع على المحققين المخلصين المسلمين سواء العرب منهم أم غيرهم أنْ يدفعوا هذه الأقاويل التي يتقوَّلُها أولئك حفاظاً على الإسلام ومعتقداته من التشويه والافتراء، لأنَّ التشيع هو من صميم العقيدة الإسلامية، وإنَّ الاختلاف لو حصل في جانب ما فليس مبرراً لوضع مثل هذه الأقوال والاعتقاد بها والترويج لها من قبل بعض المقلدين للمستشرقين، وإلا أين الذين كتبوا في فرق المسلمين من أمثال هذه النظريات المزعومة ؟ فأين الشهرستاني صاحب الملل والنحل (ت٥٤٨هـ) والنوبختي صاحب فرق الشيعة (ت٣٠٠هـ) وغيرهما !!

وبعد أنِ استعرض الشيخ تلك الآراء أخذ بالرد والنقض عليها بأسلوب حسن ورصين، ينتقل لبيان كلمات الباحثين العرب المتأثرين بهذه النزعة والمؤيدين لهما، أمثال "أحمد أمين" و"محمد أبو زهرة" وغيرهما فيقول: ((يذهب الدكتور أحمد أمين إلى استيلاء الفكر الفارسي

(١) المصدر السابق. ص ٧٩-٨٠

على التشيع برغم قدم التشيع على دخول الفرس فيه، ولنستمع إلى قوله حرفياً: "والذي أرى كما يدلنا التأريخ أنَّ التشيع لعليّ بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ولكن بمعنى ساذج ولكن هذا التشيع أخذ صيغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام، وحيث أنَّ أكبر عنصر دخل في الإسلام هم الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع"، ويقول في مورد آخر "فنظرة الشيعة في علي وأبنائه في نظرة آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين، وثنوية الفرس كانوا منبعاً يستقي منه الرافضة في الإسلام، فحرَّك ذلك المعتزلة لدفع حجج الرافضة")). [1]

ولا نريد أنْ نعلِّقَ على هذه الكلمات لأنَّ كلماتَهم تُظهر حقيقتهم، ولذا قال بعد ذلك: ((إني أطلبُ من القارئ هنا التأمل في هذه اللهجة الحادة التي يفحُّ منها الشرر والنار حتى يعرف مدى موضوعية أحمد أمين ونظرائه)). [2]

---

(١) المصدر السابق ص٨٤

(٢) المصدر السابق ص٨٥ / ويذكر العلامة الشيخ "محمد حسين كاشف الغطاء" في كتابه "أصل الشيعة وأصولها": ومن غريب الاتفاق أنَّ (أحمد أمين) في العام الماضي (١٣٤٩هـ) ــ بعد انتشار كتابه، ووقوف عدّةٌ من علماء النجف عليه زار مدينة العلم وحظي بالتشرف بأعتاب (باب تلك المدينة) في الوفد المصري المؤلَّف من زهاء ثلاثين بين مدرِّس وتلميذ، وزارنا بجماعته، ومكثوا هزيعاً من ليلةٍ من ليالي شهر رمضان في نادينا في محفل حاشد، فعاتبناه على تلك الهفوات عتاباً خفيفاً،

ويبدأ بردِّ تلك الافتراءات وبيان أسباب ذلك والمؤثرات التي دعت إلى مثل هذه الأقاويل إضافة إلى بيانه في فصل جديد هو هوية التشيع العرقية وآراء الباحثين فيها وإنَّ حركة التشيع نشأت في أرض عربية وعلى أيادٍ عربية ولا سبب لمثل تلك التشكيكات سوى الهوى وتفرقة المسلمين، ويمكن مراجعة الكتاب للتفصيل فيه. (١)

ثم ينتقل إلى فصل لطيف ومهمٍّ يُعرج فيه على معرفة أئمة الشيعة ابتداءً من الأئمة الاثني عشر المعصومين ثم أئمة علماء الطائفة بعد زمن الغيبة(٢)**، ليتبين للباحث والمطالع بطلان تلك الأقوال بفارسية التشيع**

وصفحنا عنه صفحاً جميلاً، وأردنا أن نمرَّ عليه كراماً ونقول له سلاماً. وكان أقصى ما عنده من الاعتذار عدم الاطلاع وقلة المصادر ؟! فقلنا: وهذا أيضاً غير سديد، فإنَّ مَنْ يريد أنْ يكتب عن موضوع يلزم عليه أولاً أنْ يستحضر العدة الكافية، ويستقصي الاستقصاء التام، وإلا فلا يجوز له الخوض فيه والتعرّض له، وكيف أصبحت مكتبات الشيعة ومنها مكتبتنا المشتملة على ما يناهز خمسة آلاف مجلد أكثرها من كتب علماء السنة، وهي في بلدة كالنجف فقيرة من كل شيء إلاّ من العلم والصلاح إنْ شاء الله، ومكتبات القاهرة ذات العظمة والشأن خالية من كتب الشيعة إلا شيئاً لا يذكر. ينظر: ص١٤٠

(١) المصدر السابق ص٨٧-١٠٣

(٢) إنَّ الحديث عن أئمة الشيعة والسنة ليس معناه إرادة تفرقة المسلمين إلى هاتين الفرقتين الأساسيتين، بل هو تعريف بحقيقتها لكي نفتح المجال للمسلمين والباحثين التعرف عليهما من كُتّابٍ منصفين لجمع الكلمة والتوحيد نحو الإسلام

بالدليل العلمي والعملي، فيقول في الفصل الرابع: ((إنَّ أئمة الشيعة الاثني عشـــر ابتداء من الإمام علي (عليه السلام) حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن (عليهم السلام) الذين تعتبرهم الشيعة بأنهم الامتداد الطبيعـــي للنبوة هم سادة العرب ومن صميمهم، وبيت هاشم كما هـــو المعـــروف أشرف البيوتات العربية فلا حاجة للإفاضة بذلك، يأتي بعد ذلك الـــرواد الأوائل من حملة علوم أهل البيت وبيوتات وأسر الشيعة الـــذين حملـــوا التشيع وبَشَّروا به، فإنهم من صميم العرب وذلك ابتداء من أقطاب مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) مثل أبان بن تغلب بن رباح الكندي، وبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وآل عطية، وبني دراج وغيرهم، ثم الطبقـــة التي تلي هؤلاء كالشيخ المفيد محمد بن النعمان، والشريف المرتضى علم الهدى علي بن أبي الحسين، والعلامة الحلي، وابـــن الـــبراج، وأسرة آل طاووس، وابن إدريس، والمحقق الحلي، والشهيد الأول والثاني وغيرهم فإنَّ كُلَّ هؤلاء من صميم العرب)). [1]

العام الجامع لهم وسد الثغرات التي يحاول الولوج منها أعداء الإسلام والمسلمين وأصحاب الأهواء والبدع.

(١) المصدر السابق. ص١٠٥-١٠٦

وبهذا يظهر لنا خلاف ما يدعيه هؤلاء من رمي التشيع وعقائدهم بالفرس، وسيرة الأئمة (عليهم السلام) وهؤلاء الأعلام واضحة وتشهد لهم كتب التراجم والسير.

ثم يستعرض بيان سُنِّيةِ إيران ليكون ذلك دليلاً على بطلان القول بفارسية التشيع، حيث يذكر أقوال المؤرخين لبلاد فارس واتجاه كل إقليم فيها، إضافة إلى ذكر كلمات الرحالة "ابن بطوطة" وغيره من المستشرقين، ومن ذلك قول المستشرق (كيب) [١] حيث يرد هذه الفكرة بقوله: ((إنَّ الفكرة الخاطئة والتي ما زالت منتشرة التي تقول بأنَّ بلاد فارس كانت الموطن الأصيل للتشيع لا أصل لها، بل الروايات التأريخية تثبت بأنَّ الزرداشتيين كانوا أَمْيَل عموماً لاعتناق المذهب السني)). [٢]

ثم يختم الشيخ ذلك بقوله: ((ولا أريد أنْ أُطيلَ عليك بالإكثار من إيراد الشواهد والنصوص التي تذكر أنَّ إيران هي معقل التسنن حتى القرن العاشر، بل وحتى الآن فإنَّ فيها مقاطعات بكاملها سنية تستمتع بكل

(١) أدوارد كيب مستشرق الإنجليزي كتب عن شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابات لطيفة ومما قال فيه: إنَّ المعاني الجميلة المرسومة في وجه محمد كان لها الأثر في نفوس الناس، لقد كان مؤدباً وملتزماً ومتواضعاً لا يفرق في المعاملة، ولديه ثقة بنفسه لا يتردد في الإقدام على عمل ما، وبهذه الأخلاق السامية غطت أفكاره العالم.

(٢) المصدر السابق. ص١٠٩

حرياتها الدينية وهي منبثة في إيران شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، فأين موقع إيران يا ترى من التشيع والسنن؟ هل لهؤلاء الكُتّاب أنْ يجيبونا على هـذا السؤال؟ ومتى كان منطق الحقد بعقل ويفكر)). (١)

بعد ذلك يستطرد لبيان عكس ما يدعي هؤلاء من أنَّ أقطاب الشيعة من الفرس، بل الأمر هو كذلك مع غير الشيعة كما هو واضح بالنسبة لأئمة المذاهب كونهم موالي عدا "أحمد بن حنبـل" إضـافة إلى أصـحاب الصحاح مثل البخاري والترمذي وابن ماجـة والنـسائي والسجـستاني وغيرهم من كبار علمائهم. (٢)

والحديث في هذا غير ضروري في هذه الدراسة الموجزة، بل يريد أنْ يبين للقارىء المسلم وغيره أنَّ هناك مَنْ يحاول أنْ يـشوِّه معتقـدات الشيعة لالشيء سوى لهوىً في نفسه، وهؤلاء يجب علينـا أنْ نحـذرهم ونكون علي بينة من أمرهم، ومقابلتهم بالرد عليهم، وبيان زيف ادِّعائهم، وإلا فإنَّ تلك الأقوال لها القدرة على تفرقة المـسلمين، وزرع الـشقاق والحقد بينهم، مع وجود مؤيدين لهذا المنهج.

---

(١) المصدر السابق. ص١١٠

(٢) المصدر السابق. ص١١١ وما بعدها للتفصيل.

وبعد أنِ استعرض في هذا الباب -الثاني- تلك الفصول التي تحدث بها عن اتهام التشيع بفارسية الانتماء يحاول في الفصل الأخير من الباب استعراض أهم الأسباب والرد عليها وقد استعرضنا بعض تلك الردود فيما سبق، ولكنه يختم ذلك بموضوعية المنهج العلمي التي تستدعي الاعتراف بالحقيقة مهما كانت تلك الحقيقة ومهما كلفت من الأمر لأنها من أركان المنهج العلمي، وهذا ما سلكه بعد بيان الأسباب والرد عليها بقوله: ((ولست أزعم أنه لا يوجد مَنْ قد يكون دَخَلَ التشيع وله أهداف غير سليمة، وليس بذلك ذنبٌ للتشيع، فكثير من اليهود دخلوا الإسلام وتظاهروا بذلك وفي نفوسهم أهداف خبيثة، ولا نعتبر الإسلام مسؤولاً عن ذلك، كما إنَّ هذه الفصيلةَ التي تدخل الإسلام أو التشيع لها أهداف مسمومة لا تعدو أصابع اليد ولا تشكل خطراً، بدليل أنَّ الإسلام محفوظ رغم وجود أمثال هؤلاء، وليس من المنطق في شيء أنَّ تنتزعَ حُكماً عاماً على مذهب من المذاهب لأنَّ بعضَ الأفراد المُندسين فيه عُرِفوا بنظريات هدامة، لاسيما إذا كانت أسس المذهب واضحة لا تلتقي مع المندسين بشكل من الأشكال، فالإصرار على تحميل مذهب مسؤولية فعل فرد مندسٍّ فيه عملية إما أنْ تكون مشبوهة وغير نظيفة، وإما أنْ تكون بَلْهاء لا تتصرف بمقاييس)). [1]

(١) المصدر السابق ص١٣٤

وهذا هو الواقع الذي يجب على الباحث أنْ يؤمن ويعترف به، أنَّ مجرد وجود بعض المشبوهين لا يعكس صورة المعتقد أو المذهب فيه، وإلا كثيرٌ من اليهود والزنادقة دخلوا الإسلام مع معتقداتهم التي كانوا يؤمنون بها سابقاً والتي كان لها أثراً على سلوكهم، بل إنَّ هذا الأمر يجري حتى في الديانات الأخرى، فأين فارسية التشيع من المعتقدات الحقة القائمة على الدليل العقلي والنقلي الذي استطاع أنْ يثبت طيلة هذه القرون بثبوت الإسلام، وإلا لو كان الأمر كما يَدَّعون لتلاشى مع تلك الفرق التي لايُعرف لها اليوم إلا الاسم بل حتى أسماء كثير منها انقرض أيضاً، فهل يُعقل أنَّ مذهباً معتقداته دخيلة على الإسلام يعلو مثل هذا العلو في العالم الإسلامي وغيره، ومنهم كبار المفكرين والفلاسفة والعلماء عبر التاريخ. [1]

(١) ينظر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، السيد حسن الصدر. حيث ذكر المؤلف تقدم الشيعة في شتى العلوم، فذكر تقدمهم في علم النحو على يد أبي الأسود الدئلي، وفي علم الصرف على يد معاذ بن مسلم الهراء الكوفي، وفي علم اللغة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وفي علم البيان والبديع على يد أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني، وفي علوم القرآن على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) وغيرها من العلوم الأخرى التي كان لهم السبق فيها. وللمزيد كذلك ينظر: بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني الجزء السادس.

فيجب أنْ تكون هناك وقفة حازمة من أئمة ومفكري المذاهب الإسلامية الأخرى أمام مثل تلك الأقوال والافتراءات لنحافظ على وحدة هذه الأمة التي قال فيها تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [1] والشيخ (رحمه الله) كان من السبّاقين في هذه الوقفة للدفاع عن المعتقدات الإسلامية في كتابه (هوية التشيع) إضافة إلى هدفه السامي من استعراض هذا الغرض النبيل ليكون منطلقاً للبحث والدراسة والتفكر دون الانقياد والانصياع والتقليد لكلمات الآخرين.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢

الباب الثالث:

يحاول المؤلف في هذا الباب بيان الهوية العقائدية للشيعة الإمامية بإيجاز وإجمال، وذلك من خلال فصول خمسة نحاول أنْ نستعرض بعض الملامح المهمة التي تناولها في هذا الباب لمعرفة أهم القضايا التي أراد أنْ يستعرضها ويُبَيَّن أُسسها ويعالج ما يحتاج إلى بيان وعلاج.

في الفصل الأول (التوطئة) يحاول أنْ يبين بعض النقاط المهمة والحساسة والتي يجب أنْ يطلع عليها من يريد التعرف على آراء مذهب معين قبل أنْ يصدرَ أيَّ حكم معين من الأحكام، وهذا ما أوقع بعض الكتاب في التخبط والضلال. لذا يحاول بالتفاتة قيمة الإشارة إلى ذلك في نقاط خمسة يعرض فيه ما يراه مهماً.

- في النقطة الأولى يحاول الشيخ (رحمه الله) التأكيد على أمر مهم وهو أنَّ الشيعة الذين يتحدث عنهم والذين ينتشرون في العالم الإسلامي ولهم ذلك التأريخ العريق دون غيرهم من الفرق التي ينسبونها بعض الكتاب إلى الشيعة ويغالون في تسميتهم بفرقة مع أنهم أعداد من الأفراد بل أنَّ أغلب هؤلاء لاوجود لهم اليوم يُذكر فينقلون عن بعض هؤلاء الأفراد ويَدَّعون أنَّ هذه من عقائد الشيعة مع أنَّ عقائد الشيعة واضحة جداً ومن أراد الاطلاع عليها فيمكنه ذلك لكثرة المصادر، فهو يؤكد على تلك المتناقضات في هذه النقطة التي يُحذر منها، فيقول مثلاً: ((فقد ذكر الرازي في كتابه

"اعتقادات فرق المسلمين" "إنَّ من فرق الشيعة فرقة الكاملية وقال عنها ما يلي بالحرف الواحد وهم -أي فرقة الكاملية- يزعمون أنَّ الصحابة كلهم كفروا، إذ فَوَّضوا الأمر إلى أبي بكر، وكفر عليّ حيث لم يحارب أبا بكر"، إنَّ هؤلاء الأشخاص الذين لم يبين الرازي موقعهم ولا عددهم هم فرقة في نظره، وكل مضمونهم الفكري هذه الكلمات الأربع، ثم إنهم يُكَفِّرون الإمام علياً وهم مع ذلك شيعة في نظر الرازي، هل رأيت هذا التناقض شيعيٌّ يتشيعُ لعليّ وهو يُكَفِّرُ علياً ؟ هل رأيت الخصومة كيف تنسي الإنسان حتى البديهيات ؟)). [1]

نعم إنَّ هذا مما يجب علينا أنْ نلاحظَهُ وندقق فيه قبل التحدث عن عقائد الفرق الأخرى لئلا يقعَ الباحث والمطالع في التباس الأمر.

- أما في النقطة الثانية فقد أشار إلى ما يتعلق بتعدد الفرق والأسلوب الساذج لبعض الباحثين في عَدِّ مجموعة من أفراد لا يُعتمد بأقوالهم أنهم فرقة.

- وأما في النقطة الثالثة والرابعة فيؤكد على أمر مهمٍّ في غاية الأهمية وهو أهمية الاعتماد على المصادر التخصصية في دراسة معتقدات وآراء أي فرقة من الفرق ومن الديانات وليس أخذ تلك المعتقدات من أيِّ كتاب يكون مؤلفه منتمياً إلى فرقة معينة وكأنَّ رأيه يمثل معتقد مَنْ ينتمي إليهم وهذا أمر

(١) المصدر السابق ص١٣٨

مهم وقد أساء بعض في قراءة أفكار بعض الفرق عند الاعتماد على غير ذلك، لذا حاول (رحمه الله) أنْ يشير إلى ذلك، فنراه يقول في ذلك: ((يتحتم على كُلِّ كاتب إذا أراد أنْ يكونَ لرأيه وزن أنْ يشعر بمسؤولية الكلمة، كما يترتب على الكلمة من آثار ولوازم لها خطرها وفعلها في المجتمع، فلابد حين الكتابة من أنْ يعتمد على مصادر الفئة نفسها التي يكتب عنها، والمتسالَم عليها أنها تمثل الفئة وتشكل محصَّل آرائهم وجمع مذاهبهم كالصحاح عند السنة والصحاح عند الشيعة فيما تسالموا عليه من رواياتها واعترفوا بصحته لا كُلُّ ما يَرِدُ فيها، فإنَّ في كتب الصحاح عند الفريقين، ما لا يعترف به)) [1]، ويقول أيضاً في علاج النقطة الرابعة: ((أنْ يكون الكتاب الذي يأخذ مصدراً من الكتب ذات الاختصاص بموضوعه

(١) المصدر السابق ص١٤٠ ، حيث لا يخفى على من تدبَّرَ أنَّ محققي الشيعة لا يقولون بصحة كُلِّ ما ورد في كتب الحديث، فالحديث يجب أنْ يخضع للقواعد التي على أساسها يتم اعتماده من عدمه، قال السيد الخوئي (قدس سره) في معجم رجال الحديث: ((وقَدْ تَحَصَّلَ مِنْ جَمِيعِ ما ذَكَرْناهُ أَنَّهُ لَمْ تَثْبُتْ صَحَّةُ جَمِيعِ رِواياتِ الكُتُبِ الأَرْبَعَةِ، فَلا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ في سَنَدِ كُلِّ رِوايَةٍ مِنْها، فَإِنْ تَوَفَّرَتْ فِيها شُروطُ الحُجِّيَّةِ أُخِذَ بِها، وَإِلا فَلا)). ١/٩١

فلا يمكن أخذ رأي فقهي لبعض الفرق من كتاب أدب أو قصص، ولا تُؤخذ عقيدة فئة من ديوان شعر كما رأيت البعض يفعله)). [١]

- وفي النقطة الخامسة يحاول أنْ يبينَ أنه يجب اعتماد المنهج السليم في الاستدلال دون التخبط والتضليل، فإنَّ أيَّ معتقدٍ يؤمنُ به صاحبه إذا كان له دليل فيجب الاعتراف به دونَ رميهِ بالتهم والافتراءات، كما حدث مثل ذلك ضد الشيعة ممن يَدَّعي العلم، فيذكر مستدلاً على ذلك بمثل واحد حيث يقول: ((فإذا ذهب الشيعة مثلاً إلى نظرية التعيين في الخلافة وأوردوا دليلاً من الكتاب أو السنة فينبغي النظر إلى دليلهم، فإذا كان دليلُهم مستوفياً لشروطِ الصحةِ فيها وإلا نوقش الدليل علمياً، لا أنْ يُقال إنَّ الفرس يَرَوْنَ لملوكهم حقاً إلهياً بالحكم، وبما أنَّ الشيعة يقولون بالنص لا الشورى فهم قد أخذوا ذلك من الفرس)). [٢]

وأعتقد أنَّ هذه النقاط الخمس التي جعلها الشيخ (رحمه الله) في كتابه توطئةً لعرض بعض معتقدات الشيعة تعد منهجاً علمياً لمَنْ يريد الكتابة بأسلوبٍ لا يشوبه الريب والخلط.

---

(١) المصدر السابق ص١٤٠ ، إنَّ أسس البحث العلمي توجب على الباحث مراعات ذلك دون التخبط في صفحات أيِّ كتاب لانتزاع معتقدٍ معينٍ يلائم ما يريده ذلك الباحث، فهذه ليست من صفات البحث العلمي عامة، وخصوص الأمر إذا كان ذلك يتوقف على الإيمان والاعتقاد.

(٢) المصدر السابق ص١٤١

وفي الفصل الثاني يبين أمراً مهماً طالما ذكرته مؤلفات بعض للإساءة إلى الشيعة، وهو ما يتعلق بشخصية (عبد الله بن سبأ) ودعوى أنَّ التشيع ومعتقداته مصدره هذه الشخصية المزعومة، ولكن ذلك لا يمكن التصديق به لأنَّ الشيعة أقدم من ولادة هذه الشخصية الممخترعة، وقد بين بعض ما يتعلق بذلك في صفحات سابقة.

أما كون الشيخ (رحمه الله) قد جعل لهذه الشخصية فصلاً منفصلاً وذلك لكثرة ما قيل فيه ويقال من دون تحقيق، حتى أثبت المحققون زيف ووهمية وجود مثل هذه الشخصية في التأريخ، دون الاعتماد على الأحاديث الموضوعة وخصوصاً في مثل هذا الأمر المهم المتعلق بطائفة كبيرة تمثل حوالي نصف المسلمين، وفيها من أعمدة الفكر ما فيها ويشهد التأريخ العلمي لهم، لذا نراه يُعَرِّضُ بأمثال هؤلاء الكُتاب فيقول: ((فبدلاً مِنْ أنْ يعودوا إلى مؤلفات الشيعة أنفسهِمْ رأيناهم يرجعون إلى أقوال صاغها الوهم، وافترضها الحقد، وخلقتها الخصومة، وقد يكون الجهل أحد عوامل وجودها، ومما افترضه هؤلاء الكتاب بأنَّ عقائد الشيعة الأساسية وضعها يهودي حاقد انْدَسَّ في صفوف المسلمين اسمه عبد الله ابن سبأ)). [1]

(١) المصدر السابق ص١٤٩

ولأهمية هذا الأمر نحاول بيان بعض كلمات المحققين في هـذا الموضوع لتكون لنا بعض الإحاطة عن هذه الشخصية المزعومة.

فمن أفضل مَنْ كتب في هذا الموضوع وأحاط به من كُلِّ جوانبه المحقـق السيد "مرتضى العسكري" (رحمه الله) الذي قال بحقه الشيخ "محمد جواد مغنية" مقيماً هذا الجهد الكبير الفريد بقوله: ((أما صاحب كتاب "ابن سبأ" فقد هَدَّمَ البناء من الأساس، وأثبتَ بأنَّ ابن سبأ أسطورة لا وجود له، وهذا هو الجديد في الكتاب الوحيد الذي بحث التأريخ على أساس العلم وتعمَّقَ فيه هذا التعمق، وأيضاً لستُ مبالغاً إذا قلت إنَّ المؤلـف أدى إلى الـدين والعلم -وبخاصة إلى مبدأ التشيع- خدمة لا يعادلها أي عمـل في هـذا العصر الذي كثرت فيه التهجمات والافتراءات على الشيعة والتشيع، بل قد أدى خدمة جُلّى للإسلام وجميع المسلمين، لأنه أقفل البـاب في وجـوه السماسرة والدساسين الذين يتشبثون بالطحلب لتمزيق وحدة المـسلمين وإضعاف قولهم)). [1]

* يقول السيد "مرتضى العسكري" في بداية كتابه "عبد الله بن سبأ" ما يلي: ((منذ ألف سنة والمؤرخون يكتبون عن ابن سبأ الأول كثيراً، وينسبون إليه وإلى السبئيين -أتباعه- أعمالاً مدهشة خطيرة.

فمَنْ هو ابن سبأ ؟ ومَنْ هم السبئيون ؟

(١) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، السيد مرتضى العسكري ص١٣

وما هي دعاواه ؟ وما هي أهم أعماله ؟

يتلخص ما زعموا بأنَّ يهودياً من صنعاء اليمن أظهر الإسلام في عصر عثمان وانْدَسَّ بين المسلمين...)) [1] إلى آخر قوله حيث يفنِّد وجود هذه الشخصية في التأريخ من خلال استقراء تامٍّ للأحاديث التي ذكرت وجوده ومناقشتها ومحاكمتها.

*** وقال الدكتور "حامد حفني داود" في مقدمته لكتاب "عبد الله بن سبأ":**

((مضى ثلاثة عشر قرناً من حياة التأريخ الإسلامي كان أنصاف العلماء خلالها يصدرون أحكامَهم على الشيعة مشبوهة بعواطفهم وأهوائهم، وكان هذا المنهج السقيم سبباً في إحداث هذه الفجوة الواسعة بين الفرق الإسلامية، ومن ثم خسرَ العلم الشيء الكثير من معارف أعلام هذه الفرق، كما خسر الكثير من فرائد آرائهم وثمار قرائحهم، وكانت خسارة العالم أعظم فيما يمسُّ الشيعة والتشيع بسبب ما رماهم به مبغضوهم من نحلٍ وترهات وخرافات هم في الحقيقة براء منها، ولقد كانت الطامة أعظم حين خرج على الناس بعض المُحَدِّثين الذين ينتحلون لأنفسهم سمة العلم ويأتزرون بإزار المعرفة، وليتهم تواضعوا وتنزهوا عن رفع أنفسهم فوق قدرها لما أعلنوا الثورة على الفرق الإسلامية وأفردوا الشيعة بأعظم جانب منها، فأفسدوا فيما كتبوا من مناهج البحث العلمي، وأوصدوا دونهم أبواب

---

(١) المصدر السابق ص٣٣

العلم. وكان -للأسف الشديد- أستاذنا "أحمد أمين" واحداً من هؤلاء النفر الذين حجبوا عن أنفسهم نور المعرفة في ركن عظيم من أركان الحضارة الإسلامية، ذلك الركن الذي سبق فيه الشيعة وغيرهم من بناة الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي، فكان هذا الملكُ هنةً سجلها التأريخ الإسلامي عليه كما سجلها على غيره ممن حذا حذوه من أساتذة الجامعات الذين آثروا التعصب الأعمى على حرية الرأي، وجمدوا بآرائهم عند مذهب بعينه، وليس ذلك بالطريق السوي الذي يسلكه المحققون من الباحثين، ولعل أعظم هذه الأخطاء التأريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين، وغُمَّ عليهم أمدها، فلم يفقهوها ويفطنوا إليها، هذه المغتربات التي افتروها على الشيعة حين لفَّقوا عليهم قصة "عبد الله بن سبأ")).[1]

* ويقول الشيخ "أسد حيدر" في كتابه الكبير "الإمام الصادق والمذاهب الأربعة" حيث يقول: ((قِلَّما يصدر كتاب يتناول البحث عن تأريخ الإسلام إلا وعبد الله "ابن سبأ" يحتل مكاناً في البحث وشغل صحائف من الكتاب، إنَّ هذا الرجل الموهوم قد صَوَّروه بألوان من الصور وأبرزوه بمختلف الأشكال، إنه داعية إلحاد وشِرْكٍ، يُضلل الناس بآرائه، ويسمم العقول بقوله، ويدعو إلى المبادئ اليهودية، والعقائد الزرادشتية، له سيطرة على

(١) المصدر السابق ص١٥-١٧

العقول، وهيمنة على الأفكار، يقول فيُصَدق، ويأمر فيُطاع، حتى انْصاعَ له جمعٌ من الصحابة، وأصبح أبو ذر خريج مدرسة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومَنْ شهد له الرسول بالصدق، وعمار بن ياسر المعذب -هو وأبوه وأمه- في الله من أنصار دعوته، وحملة عقيدته، والمتأثرين بأفكاره، ومبادئ التشيع من تفكيره وآرائه و.. و..)). [١]

من خلال هذه الكلمات نرى أنَّ هذا الادِّعاء من كونِ عقائد الشيعة من افتراءات "ابن سبأ" لا أساس لها أبداً عند التحقيق العلمي لذلك، لذا أننا نرى أيضاً أنَّ بعض الباحثين من غير مذهب أهل البيت قد اعترف بذلك، يذكر الشيخ (رحمه الله) رأي "طه حسين" فيقول: ((وانتهى "طه حسين" إلى أنَّ ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشيعة ودعم رأيه بالأمور التالية ...)). [٢]

ويحاول الشيخ استعراض عدد من كلمات القوم في (عبد الله بن سبأ) وما قيل فيه كالمستشرقين وغيرهم ومصدر هذه الشخصية، ويحاول كذلك الرد على تلك الأقوال بأدلة متنوعة، بل يوازن ويقارن بينها أحياناً أخرى.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، الشيخ أسد حيدر ص٤٧٥

(٢) للتفصيل ينظر: هوية التشيع ص١٥٩

ثم يُنهي البحث باستعراضه في الفصل اللاحق للأسباب التي دعت إلى نسب الشيعة إلى ابن سبأ في نظر هؤلاء المؤرخين ورد مزاعمهم وبيان حقيقة عقائد الشيعة كما هي معلومة بأدلتها الواضحة من القرآن والسنة.

يذكر الشيخ الوائلي (رحمه الله) في الفصل الثالث تحت عنوان (لماذا تنسب الشيعة لابن سبأ ؟) أي بيان الأسباب التي تكمن وراء هذه النسبة كما يزعمون وهذه مسألة مهمة جداً تحتاج إلى دراسة و تحليل، وبيان الأسباب التي يستندون إليها في مقالاتهم وادِّعائهم هذا، فإنَّ معرفة هذه الأسباب الحقيقية تجعل الباحث أمام أمر لابد من أنْ يؤمن به إنْ كان فيه دليل يستدل به، أو أنْ يردَّهُ وفقاً للمنهج العلمي بدليلٍ يقابله أو يضاده، وإنَّ هذا السؤال الذي طرحه يعدُّ أساسياً للبحث عن واقع هذا القول والضجة التي يفتعلها بعض المحدثين من خلال الرجوع إلى نصوص رواياتهم.

ويرجح الشيخ (رحمه الله) أنَّ مسألة الإمامة هي السبب في مثل هذه الاتهامات التي تواطأ بها القوم مكابر عن مكابر، وكأنَّ الإمامة لا وجود لها في المعتقدات الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة لكي تُرَدُّ عن طريق إلصاقها باليهودية والمجوسية، ولكن -يا للأسف- أين هؤلاء من مواقف الشيعة ورجالاتها منذ نشوئها لهذا اليوم من اليهودية والمجوسية، ومصادرهم ومؤلفاتهم تملأ مكتبات العالم وبلغات متعددة،

لذا سيتغرب الشيخ من تلك الادعاءات وحق له ذلك فيقول: ((في الإجابة على هذا السؤال يكمن مركز الثقل في قصة عبد الله بن سبأ كلها، فإنَّ الفكر الشيعي في الإمامة وما يلحق بها، والمواقف المتساجلة بين فرق المسلمين من الشيعة وغيرهم إذا شَدَّت من أدلتها من الكتاب والسنة فقد يختلُّ الميزان، لأنَّ فكرة الوصية والعصمة وغيرهما تُبعد عن الحكم -في نظر الشيعة- مَنْ لا تتوفر فيه هذه الشروط، وتلك هي الطامة الكبرى، وأيُّ فكر أخطرُ من هذا الفكر ؟ فَلِمَ لايربط فكر الشيعة بجذور يهودي ويُخترع له شخصية تكون كبش الفداء فيُلْقى اللومُ عليها وعلى الذين أخذوا منها)).[1] فهذا هو السبب الأساس الذي يشير إليه في مقالة انتساب الشيعة إلى "ابن سبأ"، ولكنه سوف يحاول الرد عليه في صفحة لاحقة في صورة بعيدة عن القول أنَّ "ابن سبأ" كان يقول بذلك أو لا يقول، بل إنَّ هذه الشخصية موجودة أم مُخْتَلقة، فعلينا في مثل هذه المناقشة أنْ نرجع إلى موضوع الإمامة في الإسلام مجردة عن الشخصيات، ثم يذكر بعد بيان ما تقدم من السبب إلى قول أحد الكتاب الذين ناقشوا هذه القضية ويبين بعض الأسباب التي أدت إلى رمي التشيع بالسبائية فيقول: ((وبالإضافة لما ذكرنا هناك سبب آخر دفع إلى خلق "عبد الله بن سبأ" أشار إليه الدكتور "أحمد محمود صبحي" وذلك بعد أَنِ استعرض آراء الدكتور "طه حسين" في

(١) المصدر السابق ص١٦٣

وهمية وجود "عبد الله بن سبأ"، قال الدكتور "أحمد صبحي": ويبدو أنَّ مبالغة المؤرخين وكُتّاب الفِرَق في حقيقة الدور الذي قام به "ابن سبأ" يرجع إلى سبب آخر غير ما ذكره الدكتور "طه حسين"، فلقد حدثت في الإسلام أحداث سياسية ضخمة، كمقتل عثمان، ثم حرب الجمل، وقد شارك فيها كبار الصحابة وزوجة الرسول، وكلهم يتفرَّقون ويتحاربون، وكل هذه الأحداث تصدم وجدان المسلم المتتبِّع لتأريخه السياسي أنْ يبتلي تأريخ الإسلام هذه الابتلاءات، ويشارك فيها كبار الصحابة الذين حاربوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشاركوا في وضع أُسس الإسلام، كان لا بد أنْ تُلقى مسؤولية هذه الأحداث الجسام على كاهل أحد، ولم يكن من المعقول أنْ يتحمل وزر ذلك كله صحابة أجلاء أبلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلاء حسناً، فكان لابد أنْ يقعَ عبء ذلك كله على "ابن سبأ"، فهو الذي أثار الفتنة التي أدَّت لقتل عثمان، وهو الذي حَرَّض الجيشين يوم الجمل على الالتحام على حين غفلة من عليّ وطلحة والزبير.

أما في التأريخ الفكري فعلى عاتقه يقع أكبر انشقاق عقائدي في الإسلام بظهور الشيعة، هذا هو تفسير مبالغة كُتاب الفرق وأصحاب المذهب لا سيما السلفيين والمؤرخين في حقيقة الدور الذي قام به "ابن سبأ".

ولكن أليس عجيباً أيضاً أنْ يعبث دخيل في الإسلام كل هذا العبث، فيحرك تأريخ الإسلام السياسي والعقائدي على النحو الذي تم عليه وكبار الصحابة شهود !!)). [١]

من خلال ما تقدم تكون الصورة واضحة جلية لتلك الأسباب التي كانت وراء ذلك والذي يدور كله في فلك التعصب الأعمى البعيد عن العلم والمنهج العلمي، فمن أجل بعض الاعتقادات الخاطئة بشخصيات إسلامية كبعض الصحابة مثلاً، نرى بعض المتعصبين من يرمي طائفة بكاملها بالزندقة والكفر حفاظاً على هواه وتعصبه دون اللجوء إلى مراجعة الوقائع والأدلة، لذا نرى أنَّ هذه الداهية أصابت بعض كُتاب القرن العشرين أيضاً، لا لكونه قرناً تكاملت فيه العلوم والنفوس ولكن قد تعددت فيه أساليب ومدارس البحث المنهجي العلمي، وأنَّ الناس ليسوا كالأمس من الغفلة وعدم وجود فرص العلم والتعلم والبحث والدراسة، ولكن رغم كل ذلك فإنَّ التشويه ما زال موجوداً من أجل الدفاع عن أشخاص معينين، فلننظر إلى ما قاله الدكتور "حسن بن فهد الهويمل" حول "عبد الله بن سبأ" تعليقاً على كتاب السيد "مرتضى العسكري" في صحيفة الرياض السعودية وتعليلاً للتمسك بالقول بوجود هذه الشخصية المخترعة: ((لأنَّ في نسفِ الشخصيةِ نسفاً لأشياء كثيرة، وتفريقاً لكتب تراثية لكبار العلماء من أمثال

(١) المصدر السابق ص١٦٤

شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر والذهبي وغيرهما، فابن سبأ أو ابن السوداء يشكل مذهباً عقدياً، ويشكل مواقف أخرى، لو تداعت لكُنّا أمام زلزلة تمسُّ بنايات كثير)). [١]

ويقول الدكتور "سليمان بن حمد العودة" في الشأنِ نفسه: ((ففي هذا الرأي "وهمية شخصية عبد الله بن سبأ" نسفُ لكتبٍ بأكملها تعد من مفردات كتب التراث، ويُعتمد عليها في النقل والتوثيق من قرون متطاولة، فكتاب منهاج السنة -مثلاً- لشيخ الإسلام ابن تيمية ينطلق من اعتبار عبد الله ابن سبأ أصل الرافضة، فهو أول مَنْ قال بالوصية والرجعة وغيرها من المعتقدات، وإنكار هذه الشخصية أو التشكيك فيها تشكيك في الكتاب كله، ونسفٌ له من أصوله، بل ربما تجاوز الأمر ذلك إلى التشكيكِ في أصول الرافضة وتأريخ نشأتهم)). [٢]

من خلال هاتين الكلمتين نرى التعصب إلى أيِّ حدٍّ وصل وتجذر عند بعض الأساتذة والدارسين، حيث لا يهمه أن يُهَدِّمَ ركناً عظيماً من أركان الإسلام، وتُكَفَّر وتتهم طائفة تبلغ نصف المسلمين تقريباً، ولها من

---

(١) آراء وأصداء حول عبد الله بن سبأ، نقلاً عن صحيفة "الرياض" الثلاثاء ٤ ربيع الأول ١٤١٨هـ ٨ يوليو ١٩٩٧م العدد (١٠٦٠٦) السنة الرابعة والثلاثون ص١٥

(٢) المصدر نفسه نقلاً عن صحيفة (المسلمون) الجمعة ١٢ ربيع الثاني ١٤١٨هـ ١٥ أغسطس ١٩٩٧م ، العدد (٦٥٤) السنة الثالثة عشرة ص١٦

التأريخ المجيد والرجالات، فلا يهم كل ذلك من أجل المحافظة بل التقديس لكلمات "ابن تيمية" وأمثاله، مع أنَّ "ابن تيمية" نفسه لم يَدَّعِ التقديس لنفسه، وكذا أسلافه الصحابة من قبل، فأيُّ تهديمٍ للعقائد هذا !! وأيُّ انحرافٍ وغلوٍّ !!

لذا فإن الشيخ (رحمه الله) عندما يستعرض هوية التشيع يريد فتح الأذهان وتنوير العقول نحو الحقيقة لا الأشخاص، لأننا يجب أنْ نبحث عن الحقيقة أينما تكون لنؤمن بها وندعو إليها، وهذا ما رأيناه في كلمات ومؤلفات مئات المستبصرين ويمكن أنْ تُراجع.

ولأهمية هذا الموضوع نختم الحديث عن "عبد الله بن سبأ" بكلمة لبعض أساتذة الجامعات السعودية ولكن مع البَوْنِ في رأيه ورُؤى مَنْ سبقوه، يقول الدكتور "عبد العزيز صالح الكلابي" الأستاذ في قسم التأريخ في جامعة الملك سعود: ((إنَّ الخلافات والمشاكل التي بدأت تنشب بين نفر من رجال الأمصار الإسلامية الكوفة والبصرة ومصر، وبين ولاة هذه الأمصار في خلافة عثمان بن عفان بعد سنة ثلاثين من الهجرة ما لبثت أنْ تطورت وخرجت عن إطارها الإقليمي لتمتد إلى المدينة عاصمة الخلافة... ونحن لن نتناول في هذا البحث دراسة جميع الروايات عن أسباب الفتنة ونتائجها، ولكننا سنقصر دراستنا فقط على تلك الروايات التي تجعل لـ"عبد الله بن سبأ" دوراً رئيسياً فيها، والواقع أنَّ "عبد الله بن

سبأ" استأثر باهتمام الدارسين المعاصرين من عرب ومستشرقين، فمنهم من أفرد له دراسة مستقلة، ومنهم مَنْ خَصَّهُ بالاهتمام أثناء دراسته لفترة صدر الإسلام، ويعود ذلك الاهتمام إلى الدور الخطير الذي نسبته له بعض الروايات التأريخية في خلق وتسيير أحداث الفتنة، وإلى ما نسبته إليه كتب الفِرق والمقالات وغيرها مِنْ أنه هو الذي أنشأ فرقة من غلاة الشيعة، فإني آمل أنْ أُسهم ولو إسهاماً متواضعاً في إلقاء مزيد من الضوء على تلك "المشكلة التأريخية" وإعادةِ تقييم بعض رواته وتنقيته ما أمكن مما شابه من روايات موضوعة أو مدسوسة ... -فيقول في خاتمة البحث- والذي نخلص إليه في بحثنا هذا أنَّ "ابن سبأ" شخصية وهمية لم يكن لها وجود، فإنْ وُجِدَ شخص بهذا الاسم فمن المؤكد أنه لم يقم بالدور الذي أسنده إليه "سيف" وأصحاب كتب الفِرق لا من الناحية السياسية ولا من ناحية العقيدة)). [1]

ولأهمية الاعتقاد بالإمامة عند الشيعة يستعرض الشيخ (رحمه الله) بعد ذلك ما يتعلق ببعض مباحث الإمامة من حيث الأدلة على أنَّ الإمام علياً (عليه السلام) وصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون سواه، وكذا

(١) ينظر: حوليات كلية الآداب / جامعة الكويت، د. عبد العزيز صالح الهلابي، الحولية الثامنة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

العصمة والأدلة عليها وهل للعصمة دور للغلو وأقوال الغلاة كما يريد أنْ يصور ذلك بعض. [١]

وأما في الفصل الرابع من هذا الباب فالشيخ يسلط الضوء في مناقشاته العلمية لمؤلف كتاب (نشأة الآراء والمذاهب) لمؤلفه يحيى هاشم فرغل وما يتعلق بموضوع العصمة. [٢]

وفي الفصل الخامس يبين الشيخ ما يتعلق بالإمام المهدي (عليه السلام) وعقيدة المسلمين تجاهها، ولم نفصل القول فيها لأنَّ كثيراً من العلماء قد كتبوا في ذلك وبيَّنوا حقيقة الأمر وإنَّ الشيخ (رحمه الله) حاول أنْ يكمل الصورة التامة حول موضوع التشيع فأورد ذلك، وإلا لو أراد الشيخ نفسه وغيره من الباحثين التفصيل في ذلك لاستوعب الأمر مجلدات ومجلدات، ولكني أرى أنَّ هذه الصفحات من هذا الكتاب كافية لبيان هوية الشيعة الإمامية إجمالاً والرد على بعض التشكيكات والأباطيل التي يحاول أعداء أهل البيت أنْ يرموا بها شيعتهم.

وفي الباب الرابع للكتاب وهو الأخير استعرض الشيخ (رحمه الله) فيه موضوع الافتراءات على الشيعة والتي نراها قائمة على الجهل تارة، وعلى التعصب ثانية، وعلى بذر الشقاق والفرقة بين المسلمين ثالثة، وذكر

---

(١) ينظر: هوية التشيع ص١٦٥ وما بعدها

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص١٧٧

من ذلك أمثلة ثلاثة وأجاب عليها بردٍّ علمي موجز، وبيَّن زيف وبطلان تلك الافتراءات، وهذه الأمثلة هي:

أولاً: في الجمع بين النساء.

ثانياً: الشك بالنبوة.

ثالثاً: رمي التشيع بالشعوبية. (١)

فهذه أهم الموضوعات التي حاولنا التعليق عليها وبيانها في هذا الكتاب القيم للشيخ الوائلي (رحمه الله) الذي بيَّن فيه حقيقة الشيعة بصورة إجمالية وما يفترى عليهم من بعض مَنْ يدَّعي العلم، وبذلك يقدم (رحمه الله) خدمةً جليلةً لأتباع مذهب الشيعة الإمامية في الدفاع عنهم وإظهار حقيقتهم التي تمتد جذورها لأيام تأسيس الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية، بل إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان المؤسس لها في صورتها الأولى، وكذا يقدم الكتاب خدمة للمسلمين عامة في أخذ العبرة والدروس في كيفية مناقشة آراء فرق المسلمين الأخرى واحترام معتقداتهم دون التصديق بأيِّ كلمة أو دعوة هدامة؛ لكي نحافظ على وحدة هذه الأمة الإسلامية ونتوجه جميعاً نحو عبادة الله تعالى لا شريك لك، ولذا أكد الشيخ (رحمه الله) ذلك في ختام الكتاب بقوله: ((فإني في ختام هذا البحث أرجو أنْ أكون قد وضعت بين يدي القارىء بطاقة واضحة عن

(١) ينظر: المصدر السابق ص٢٢٩

هوية التشيع، ولم يكن رائدي -والله يعلم- حب التهجم أو النتقام، وممن ينتقم المسلم، من أخيه المسلم؟ وذلك تفاهة وأي تفاهة ! وإنما كان رائدي لذلك رغبة ملحَّة في جلاء الضباب الذي حجب الرؤية الواضحة زماناً طويلاً لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) عن أنظار الباحثين، مما سبب كثيراً من الخلط والتجديف، والله هو المسؤول أنْ يجمعَ كلمة المسلمين ويلمَّ شعثهم، والحمد لله أولاً وآخراً)).[1]

رحم الله عميد المنبر الحسيني، العلامة المفوَّه، الذي كان يصدح صوته آناء الليل وأطراف النهار لخدمة الشريعة المقدسة في كُلِّ بقاع العالم حتى سكن هذا الصوت في لحظةٍ من لحظات الزمان في مدينة الكاظمية المقدسة، لتشيعه ملايين القلوب التي ملأ صوته قلبها وفكرها وأسماعها.

نتمنى أنْ نكون قد قدمنا بعض الشيء في هذا البحث مما يسهم في نشر الثقافة الإسلامية وتسليط الضوء على بعض تراثنا الذي نفتخر به بين الأمم حيث الصدق والموضوعية التي تنطوي عليه، أسأله تعالى أنْ يتقبل هذا بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

(١) المصدر السابق. ص٢٦٠

خاتمة:

من خلال ما تقدم في هذا البحث يمكن أنْ نستخلص عدة نتائج تَوَصَّلنا إليها عند استعراض هذه الأبواب لكتاب (هوية التشيع) فكانت إجمالاً كالتالي:

- إنَّ الشيخ الوائلي (رحمه الله) حاول في هذا الكتاب بأبوابه الخمسة التركيز على أهم النقاط التي يحاول بعض الكتاب أنْ يرمي الشيعة بها إما جهلاً أو تعصباً، وما يؤدي ذلك من التشويه لمعتقدات هذه الفرقة التي يمتد جذورها لعصر الرسالة الإسلامية، ولذا حاول أنْ يختار تلك الموضوعات بدقة وفقاً لما يعرضه هؤلاء الكتاب والرد عليهم.

- قدَّمنا للبحث تمهيدين تعلَّق الأول ببيان لمحة موجزة من سيرة هذا العالم الكبير الذي ملأ الآفاق ذكره ليكون الباحث على اطِّلاع موجز عن مؤلِّف الكتاب، ثم بيان بعض معتقدات الشيعة في أصول العقيدة ليكون تمهيداً للبحث والحديث عنها في الأبواب اللاحقة.

- تناولنا في الباب الأول استعراض آراء الشيخ ورده على القائلين بالفترة الزمنية المتأخرة لنشوء التشيع وإحصاء الآراء الواردة في ذلك وبيان ما يرجحه محققو الإمامية بل يقولون به، وهو أنَّ التشيع نشأ منذ زمن الرسالة الإسلامية، وأنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وضع جذور ذلك وفقاً لبعض الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، إضافة إلى رد هؤلاء الذين يربطون بين الشيعة والروافض.

- تناولنا في الباب الثاني ما يتعلق بأمرٍ مهمٍّ يتعلق بأقوال بعض الكُتّاب أو مَنْ يدَّعي العلم أنَّ معتقدات الشيعة أُخذت من الفرس والقول بفارسية التشيع، فتمَّ استعراض بعض أقوال هؤلاء والرد عليها، وبيان أنَّ الجزيرة العربية هي مهد التشيع، وأنَّ رواد التشيع الأوائل هم كبار الصحابة، وأنَّ أئمة الشيعة هم سادة النسب من آل هاشم، بل إنَّ التعصُّب والجهل هما الباعث لأقوال أمثال هؤلاء.

- تناولنا في الباب الثالث استعراض أمر مهمٍّ جداً وهو ما يتعلق بالشخصية الوهمية المزعومة (عبد الله بن سبأ) ورد الشيخ لتلك الأقوال، وبيان كلمات كبار علماء الشيعة في ذلك إضافة إلى المُنْصِفين من الباحثين من المذاهب الأخرى، وبيان الأسباب التي دهت هؤلاء لمثل هذه الأقوال وردها، ليكون الباحث على بينة من ذلك.

- لم ندرس جميع أبواب الكتاب بل التأكيد على المهم منها، والذي جمعه الشيخ الوائلي من كُتب القوم ليبين حقيقته، فلم نستعرض الحديث عن العصمة والإمام المهدي (عليه السلام) لوضوح ذلك.

- أعتقد ختاماً أنَّ الدارس لهذا الكتاب ينظر إلى مدى التعصُّبِ الذي يحمله بعض الكُتّاب لتشويه الحقيقة، والدور الكبير الذي قَدَّمه المؤلف للمسلمين في بيان ذلك وهو جهد مشكور عليه من قبل المسلمين جميعهم.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، مط دار التعارف، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، بيروت.

٢- الأميني، عبد الحسين، سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وسنته، الناشر دار الغدير، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، بيروت.

٣- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، الدار العلمية للفلسفة.

٤- جعفر السبحاني، بحوث في الملل والنحل، مط الدار الإسلامية، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت.

٥- الحسني، سليم، آراء وأصداء حول عبد الله بن سبأ وروايات سيف في الصحف السعودية، قدم له السيد مرتضى العسكري، الناشر كلية أصول الدين، ط١، ١٤٢١هـ، قم.

٦- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م، بيروت.

٧- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، عرض وتعليق الدكتور حسن جمعة، دار داينة، ط١، ١٩٩٠م، بيروت.

٨- العاملي، زين الدين علي بن أحمد، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، إعداد وتحقيق علي جهاد الحساني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين العامة في النجف الأشرف، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٩- العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، مط النهضة، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، قم.

١٠- الغريفي، عبد الله، التشيع نشوؤه-مراحله-مقوِّماته، الناشر جامعة الإمام الصادق (عليه السلام)، ط٨، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

١١- كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، مط العرفان، ١٣٥١هـ ١٩٣١م، صيدا.

١٢- محفوظ، حسين علي، تاريخ الشيعة، مط النجاح، بغداد، ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.

١٣- مشكور، محمد جواد، موسوعة الفرق الإسلامية، تعريب علي هاشم، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، بيروت.

١٤- المظفر، محمد حسين، تاريخ الشيعة، مط دار الزهراء، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، بيروت.

١٥- الهلابي، عبد العزيز صالح، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثامنة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٦- الوائلي، أحمد، هوية التشيع، تحقيق مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية، الناشر: مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية، ط١، ١٤٢٦هـ، قم.

الفهرس

مقدمة	٣
تمهيد: نبذة موجزة عن سيرة الشيخ الوائلي	٩
نسبه وولادته	١٠
دراسته وأساتذته	١٠
خدمته في المنبر الحسيني	١٣
مؤلفاته	١٤
وفاته	١٥
قراءة موجزة في أبواب الكتاب	١٩
الباب الأول	٢٣
الباب الثاني	٣٦
الباب الثالث	٥١
الخاتمة	٧٠
قائمة المصادر والمراجع	٧٣
الفهرس	٧٥

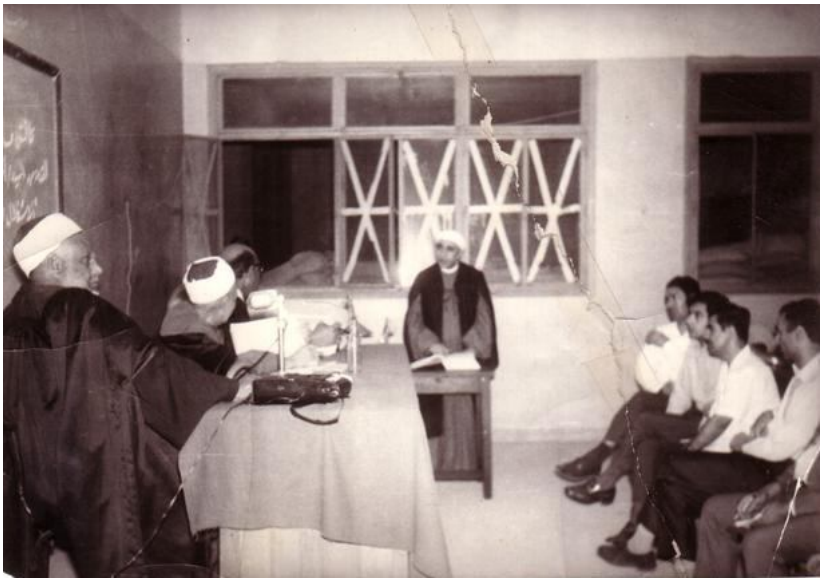

الشيخ الوائلي أثناء جلسة مناقشة اطروحة الدكتوراه المعنونة (استغلال الأجير وموقف الإسلام منه) في كلية دار العلوم / جامعة القاهرة ١٩٧٢م

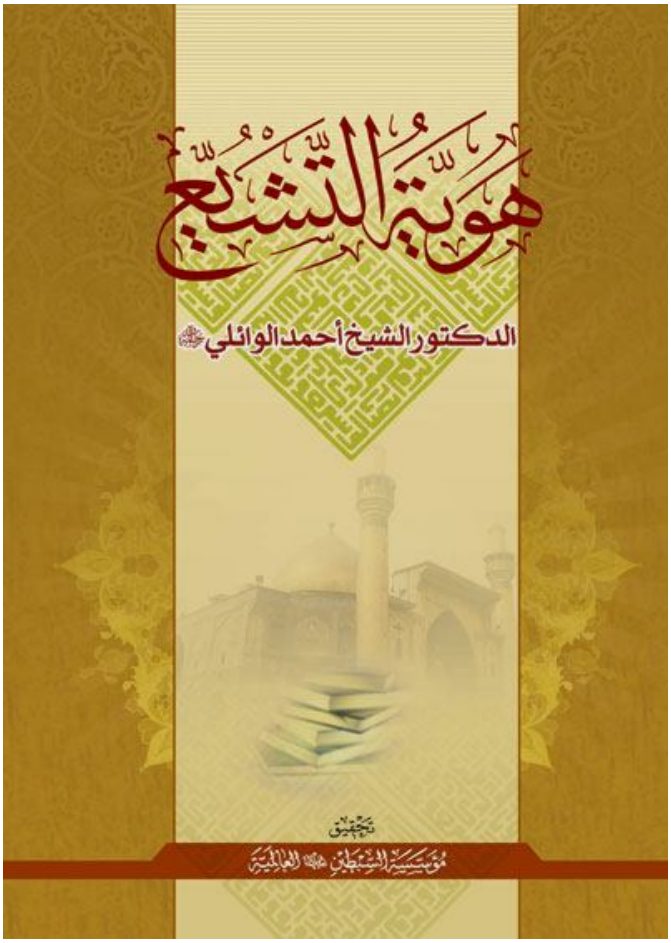
هوية التشيع
الدكتور الشيخ أحمد الوائلي
ترجمة
مؤسسة السبطين العالمية

جموع المؤمنين تشيع الشيخ الوائلي في الكاظمية المقدسة

الباحث عند قبر الشيخ الوائلي في مقبرته عند مرقد كميل بن زياد في النجف أثناء المشاركة في المؤتمر

لقد نشأ التشيع مع نشوء الإسلام، وقد أكدت الروايات التفسيرية ذلك، فضلاً عن الأحاديث الشريفة، وكتاب (هوية التشيع) للشيخ الوائلي إحدى الدراسات في ذلك، حاول الباحث في هذه الصفحات تسليط الضوء على أهم أبواب الكتاب لبيان أهمية هذه الدراسات عقائدياً وتاريخياً.

منشورات معالم الفكر
للطباعة والتوزيع والنشر
لبنان/ حارة حريك مجاور مسجد الحسنين
العراق/الكاظمية المقدسة
٠٠٩٦٤٧٧٠٧١١٨٤٣٣ ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
mail.mialm1981@gmail.com